الـدولـــــة الـيـهـوديـــــة

ثيودور هرتسل

الفهرس

مقدمة المؤلف

إن الفكرة التى طورتها فى هذا الكتيب فكرة موغلة فى القدم، هى فكرة استعادة الدولة اليهودية. إن العالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود، وهذه الصيحات هى التى أيقظت الفكرة من سباتها.

وأود فى بادئ الأمر أن يكون مفهوماً بشكل جلى أن حجتى لا تنبنى فى أى من أسانيدها على اكتشاف أمر جديد، فأنا لم أكتشف الأوضاع التاريخية لليهود ولا الوسائل لتحسين تلك الظروف. وفى الحقيقة فان كل إنسان يستطيع أن يرى بنفسه أن عناصر الفكرة التى أقوم بالتخطيط لها ليست موجودة فحسب ولكنها حقاً ظاهرة للعيان. ومن ثم فإن هذه المحاولة لحل المشكلة اليهودية يمكن وصفها بكلمة واحدة "توليفة"، ولكنها بالتأكيد ليست خيالاً.

لا بد لى ـ بصفة مبدئية ـ أن أجنب مشروعى أن يعامله النقاد السطحيون على أنه "يوتوبيا"، فإنهم أحرى أن يرتكبوا هذا الخطأ فى التقدير ما لم أبادر إلى تحذيرهم. ومن الواضح أننى لن أكون قد فعلت شيئاً أخجل منه لو أننى صورت هذه الـ"يوتوبيا" على أسس إنسانية. كذلك كنت أستطيع على الأرجح أن أحقق نجاحاً أدبياً أكثر يسراً لو أننى قدمت مشروعى متدثراً بثوب قصة رومانسية غير مسئولة. ولكن مثل هذه الـ"يوتوبيا" ستكون أقل جاذبية بكثير من تلك الـ"يوتوبيات" التى كتبها توماس مور وكثيرون من سابقيه أو لاحقيه، كما أنى أعتقد أن أوضاع اليهود فى كثير من البلاد من الخطورة بحيث لا تسمح بمثل هذه الصياغة العبثية التى لا ضرورة لها.

لقد ظهر منذ بضعة سنوات كتاب مثير بعنوان "الأرض الحرة" من تأليف د. ثيودور هرتسكا Thedor Hertzka ربما يوضح لنا الفرق الذى وضعته بين فكرتى وبين الفكر اليوتوبى؛ فهذا الكتاب اختراع عقلٍ حديثٍ ساذجٍ استغرقته مبادئ الاقتصاد السياسى، وهو بعيد عن الواقع بعد المرتفعات الاستوائية التى أقام عليها دولته الحالمة. إن "الأرض الحرة؟ قطعة ميكانيكية معقدة فيها كثير من التروس المتداخلة، ولكن ليس هناك ما يثبت أنه يمكن تشغيلها. وحتى مع افتراض ظهور مجتمعات الأرض الحرة إلى الوجود فإننى لا بد أن أنظر إلى الأمر كله على أنه نكتة.

أما المشروع الذى أطرحه الآن فإنه ينطوى على توظيف قوة دافعة موجودة بالفعل. وسوف أقتصر على الإشارة إلى التروس والعجلات الخاصة بالآلة التى نريد بناءها، وسوف أعتمد على المهندسين المهرة فى تركيبها أكثر من اعتمادى على نفسى.

إن كل شئ يعتمد على قوتنا الدافعة.. ولكن ما هى قوتنا الدافعة؟ إنها بؤس اليهود؟ فمن يجرؤ على إنكار وجوده؟ إننى سأناقش هذا كاملاً فى الفصل الخاص بأسباب العداء للسامية.

كلنا يألف ظاهرة قوة البخار التى يولدها الماء الذى يغلى فيرفع غطاء الغلاية، هذه الظاهرة الخاصة بغلاية الشاى هى محاولات الصهاينة والجمعيات الصهيونية لكبح جماح

العداء للسامية. ومن ثم فإننى أعتقد أن هذه القوة إذا أمكن استخدامها بإحكام فإنها كافية لدفع آلة ضخمة تحمل الركاب والبضائع.. هذه الآلة ستتخذ أى شكل مما يختاره الناس.

إننى على يقين تام أننى على حق وإن كنت أشك فيما إذا كنت سأبقى حياً لأرى الأيام تبرهن على ذلك، أما أولئك الذين سيكونون أو من يفتتح هذه الحركة فمن النادر أن يبقوا على قيد الحياة ليشهدوا نهايتها العظيمة، ولكن افتتاحها فى حد ذاته يكفى لمنحهم الشعور بالفخر والسعادة بالتحرر الروحى♣.

لن أطيل فى وصف جمالى مفصل لمشروعى خشية إثارة الشك فى أننى أؤلف يوتوبيا، وعلى أى حال فإننى أتوقع أن بعض الساخرين الذين لا فكر لهم سوف يصورون مشروعى بصورة هزلية، وبذلك يحاولون إضعاف أثره. لقد شرحت مشروعى ليهودى على قدر من الذكاء فى مجالات أخرى ـ فكان رأيه:

"إن مشروعاً تمثلت تفاصيله المستقبلية كأنها واقع هو مشروع طوباوى".

وهذه مغالطة، فكل وزير مالية يحسب فى ميزانيته تقديرات لأرقام افتراضية، ولا يعتمد فقط على الأرقام المستمدة من متوسطات عوائد السنوات السابقة، ولا على العوائد فى الدول الأخرى، لكنه يعتمد أحياناً على أرقام لا سابقة لها على الإطلاق، مثال ذلك عندما تفرض ضرائب جديدة. كل من يدرس الميزانية يعلم هذه الأمور. ولكن حتى لو عرفنا أن التقديرات لم تنطبق بدقة على الواقع الفعلى، فهل يمكن اعتبار مسودة الميزانية يوتوبيا!؟

إن لى عند قرائى توقعات أكبر، فأنا أطلب من المثقفين الذين أخاطبهم أن يضعوا جانباً كثيراً من الآراء التى كونوها فى الماضى، بل إننى أذهب إلى أبعد من ذلك لأطلب من أولئك اليهود الذين حاولوا ما فى وسعهم حل المشكلة اليهودية أن ينظروا إلى محاولاتهم السابقة على أنها خطأ ولا فائدة منها.

ولا بد لى هنا وأنا استعرض آرائى أن أتحفظ تجاه خطر ما، فإذا وصفت الأوضاع المستقبلية بحذر شديد فسوف أبدو كأنى أشك فى إمكان حدوثها، ومن ناحية أخرى لو أننى أعلنت بتأكيد أكبر مما ينبغى فسوف أبدو كأنما أصف وهماً. ومن ثم فسوف أقرر بوضوح وتأكيد أننى أومن بالناتج العملى لمشروعى، ولكن دون أن أتنبأ أننى قد اكتشفت الشكل الذى قد يتخذه فى النهاية.

إن الدولة اليهودية ضرورية للعالم ولذلك فسوف تقوم.

إن الخطة قد تبدو بطبيعة الحال غير معقولة إذا حاول معالجتها شخص بمفرده، ولكن إذا توفر عليها عدد من اليهود متعاونين فقد تبدو معقولة تماماً، ولن ينطوى إنجازها على صعوبات تستحق الذكر. إن نجاح الفكرة يعتمد فقط على عدد مؤيديها.

♣ توفى هرتسل فى 3 يوليو 1904 بعد أن تجاوز الرابعة والأربعين من عمره، أى أنه ألف "الدولة اليهودية" فى سن الخامسة والثلاثين.

لعل شبابنا الطموح ـ وقد أصبح كل طريق أمامه للتقدم مغلقاً ـ يرى فى هذه الدولة اليهودية مستقبلاً مشرقاً بالحرية والسعادة والشرف مفتوحاً أمامهم، فيحرص على نشر الفكرة.

إننى أشعر أننى بنشر هذا الكتيب تكون مهمتى قد انتهت، وأننى لن أحمل القلم مرة أخرى إلا إذا دفعنى إلى ذلك هجمات خصوم ذوى شأن، أو إذا أصبح من الضرورى التصدى لاعتراضات غير متوقعة، أو أن أزيل خطأ ما.

فهل أنا أقرر ما ليس واقعاً؟

هل جئت قبل زمنى؟

هل معاناة اليهود ليست على درجة كافية من الخطورة؟

سوف نرى.

إن الأمر يتوقف على اليهود أنفسهم أن يبقى هذا الكتيب السياسى خيالاً سياسياً. فإذا كان هذا الجيل أغبى من أن يفهمه على حقيقته، فإن جيلاً قادماً أفضل وأكثر استنارة سينهض ليفهمه.

إن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم، وسوف يستحقونها.

الفصل الأول
ـ تمهيد

من الغريب أن كثيراً من المتمرسين بالحياة لديهم فهم شديد القصور لعلم الاقتصاد، حتى أن اليهود أنفسهم يكررون بإيمان مزاعم أعداء السامية قائلين: "إننا نعتمد فى عيشنا على الشعوب المضيفة وأننا بدون دعمهم لنا نهلك جوعاً". وهذه نقطة ترينا إلى أى مدى تُضعف الاتهامات الباطلة معرفتنا بأنفسنا. ولكن ما هو الأساس الحقيقى لفكرة الشعوب المضيفة؟ إنها إذا لم تكن مستندة إلى الآراء القاصرة للفيزيوقراطيين Physiocratic[1] فلعلها تقوم على الخطاء الطفولى الذى يذهب إلى أن السلع تتداولها الأيدى فى دورة لا نهائية. لسنا بحاجة إلى أن نستيقظ من نوم طويل كما فعل "ربْ فان وينكل Rip Van Winkle" لكى نتحقق أن العالم قد تغير تغيراً هائلاً من خلال إنتاجه سلعاً جديدة.

إن التقدم التكنولوجى الذى تحقق خلال هذه الحقبة الرائعة جعل فى مقدور حتى الإنسان المحدود الذكاء أن يرى بعينيه الكليلتين ظهور سلع جديدة حوله فى كل مكان. إن روح المغامرة هى التى خلقت هذه السلع، أما العمل الذى يتم بدون مغامرة فهو ذلك العمل المتحجر الذى ينتمى إلى القرن الأول، ومثال ذلك عمل الفلاح الذى يقف الآن عند النقطة التى وقف عندها أجداده الأقدمون منذ ألف سنة.

إن مظاهر الخير المادى الذى ننعم به الآن قد أتى به أولئك الرجال المغامرون، وإننى أشعر بالخجل وأنا أبدى هذه الملاحظة التى تعتبر من نافلة القول. أما ونحن شعب الإنجازات ـ كما تحكى عنا القصص المبالغ فيها ـ فإننا لا نحتاج إلى شعب يقيم أودنا. إننا لا نعتمد على تداول السلع القديمة فحسب وذلك لأننا ننتج سلعاً جديدة. إننا نملك اليوم عبيداً للعمل لديهم قوى خارقة قضى ظهورها على المنتجات اليدوية، إنها الآلات الحديثة. صحيح أننا نحتاج إلى عمال لتشغيل هذه الآلات، ولمثل هذا العمل لدينا وفرة متميزة من الرجال. ولا يستطيع أحد أن يؤكد لنا عدم صلاحية اليهود للعمل اليدوى أو عدم رغبتهم فيه سوى أولئك الذين يجهلون أوضاع اليهود فى كثير من بلاد أوربا الشرقية. ولكننى لا أعتزم ـ فى هذا الكتيب ـ أن أهبَّ للدفاع عن اليهود، فذلك أمر لا طائل من ورائه. إن كل شىء معقول وكل شىء عاطفى يمكن أن يقال دفاعاً عن اليهود قد قيل بالفعل.

فإذا كان المستمعون لا يستطيعون فهم ما قيل فكأن الواحد منا يخطب فى الصحراء أما إذا كان المستمعون لديهم من قوة العقل ما يمكنهم من فهم ما قيل فإن تكراره اليوم لا ضرورة له.

إننى أؤمن بقدرة الإنسان على الارتقاء فى سلم الحضارة إلى أعلى المستويات ولكننى أرى أن هذا التقدم يسير ببطء مميت. فإذا كان علينا أن ننتظر حتى يتحقق لسواد الناس ذلك الخير الأخلاقى الذى يصفه "ليسينج Lessing" فى كتابه "ناثان الحكيم NATHAN

---

1 المذهب الفيزيوقراطى هو مذهب فى الاقتصاد ظهر بفرنسا فى القرن الثامن عشر، قال أصحابه بحرية الصناعة والتجارة وبأن الأرض هى مصدر الثروة كلها.

THE WISE" فإن حياتنا وحياة أبنائنا وأحفادنا وحياة أجيال أخرى بعد ذلك قد تنقضى قبل أن نصل إلى شىء.

ولكن ها هى روح العصر تهب لنجدتنا بأسلوب مختلف. لقد أعطى هذا العصر نهضة رائعة من خلال منجزاته التكنولوجية، ولكن إصلاحاته المعجزة فى نفس الوقت لم توظف بعد فى خدمة الإنسانية. فلم تعد المسافات عائقاً ومع ذلك مازلنا نشكو من ضيق المكان؛ إن سفننا البخارية الكبرى تحملنا بسرعة وكفاءة إلى آفاق لم تصل إليها سفينة من قبل، وتنقلنا قطاراتنا بأمان عبر جبال عالية كنا نتسلقها فى الماضى بأقدام مرتعشة.

فى الوقت الذى تحبسنا أوربا فى الجيتو نسمع عن أحداث تجرى فى مناطق من العالم لم تكن قد اكتشفت من قبل، وذلك فى غضون ساعة واحدة من وقوعها. ومن ثم فإن بؤس اليهود يعتبر مفارقة تاريخية، ليس بسبب أنه كان هناك فترة من التنوير منذ مائة سنة مضت، فإن هذا التنوير فى الواقع قد أصاب القلة المختارة. إننى أعتقد أن النور الكهربائى لم يأت اختراعه لكى تتلألأ به صالونات حفنة من المتعالين، وإنما لكى نستطيع أيضا الاستفادة من الضوء فى دراسة بعض الأمور الغامضة التى تهم الإنسانية.

إن أحد هذه المشكلات وليس أقلها هو المسألة اليهودية. ونحن بسبيل حل هذه المشكلة لا نعمل لأنفسنا فحسب، وإنما نعمل أيضا لصالح كثير من المقهورين والمضطهدين فى هذا العالم. إن المسألة اليهودية لا تزال قائمة ومن الغباء إنكارها. إنها إحدى مخلفات العصور الوسطى التى يبدو أن الشعوب المتحضرة ليست قادرة حتى الآن على التخلص منها. لقد أبدت هذه الشعوب رغبة سخية لعلاجها عندما قامت بتحريرنا. إن المسألة اليهودية توجد حيثما يوجد عدد ملحوظ من اليهود، وحيث تختفى هذه المشكلة فمعناها أن اليهود قد هاجروا وحملوها معهم. ومن الطبيعى أننا نرحل إلى الأماكن التى لا نلقى فيها الاضطهاد، حتى إذا حللنا هنالك فإن مجرد وجودنا فى حد ذاته يولد الاضطهاد. هذه هى الحال فى كل بلد، وستظل هكذا أبداً ـ حتى فى تلك الدول ذات المستوى الحضارى الرفيع مثل فرنسا ـ إلى أن تجد المسألة اليهودية حلاً على المستوى السياسى. إن أصحاب الحظ العاثر من اليهود يحملون الآن العداء للسامية إلى إنجلترا وقد حملوه من قبل إلى أمريكا.

أعتقد أننى أفهم "العداء للسامية" إنها حركة بالغة التعقيد، إننى أنظر إليها من وجهة نظر يهودية ولكن بدون خوف أو كراهية، إننى أستطيع أن أرى العناصر التى تدخل فى تركيبها. فهى مزيج من السخرية المبتذلة، ومن الغيرة فى المسائل التجارية العامة، ومن التعصب الموروث، وعدم التسامح الدينى، إلى جانب التظاهر بالدفاع عن النفس. أعتقد أن المسألة اليهودية لم تعد مجرد مشكلة اجتماعية بقدر ما هى قضية دينية، ومع ذلك قد تتخذ أشكالاً أخرى، إنها قضية قومية يمكن حلها فقط عندما تعالج كقضية سياسية عالمية تناقشها شعوب العالم المتحضر فى مجلس دولى.

إننا شعب.. وشعب واحد.

لقد حاولنا مخلصين فى كل مكان أن نندمج فى الحياة الاجتماعية للمجتمعات المحيطة بنا، وأن نحافظ فقط على عقيدة آبائنا، ولكن لم يسمح لنا بذلك[2]. إننا وطنيون مخلصون ولقد ذهبنا بإخلاصنا أحيانا إلى أقصى المدى ولكن بلا فائدة، نضحى بأرواحنا وأموالنا كما يفعل غيرنا من المواطنين ولكن بلا فائدة، نكدح فى سبيل رفعة شأن البلاد التى نعيش فيها فى مجالات العلوم والفنون والآداب وفى مجالات إثرائها عن طريق التجارة، ولكن بلا فائدة.

فى بعض البلاد التى عشنا فيها قروناً طويلة لا يزال الناس ينظرون إلينا شزراً باعتبارنا أجانب، حتى أولئك الذين لم يكن أجدادهم مواطنين فى الوقت الذى كان اليهود موجودين هناك يتعرضون لألوان من المعاناة.

إن الأكثرية فى أى بلد يمكنها أن تقرر من هم الأجانب، فالقضية هنا قضية قوة شأنها فى ذلك شأن الأمور الأخرى التى تنشأ فى مجرى العلاقات بين الشعوب. إننى عندما أقرر هذه الحقيقة بصفتى الشخصية المجردة لا أسلم فى حق من حقوقنا المكتسبة. ولكن القوة تسبق الحق. هذه هى الحقيقة الواقعة فى عالمنا المعاصر، وسوف تبقى كذلك إلى أمد بعيد. لا فائدة أن نكون وطنيين مخلصين كما كان "الهجانوت huguenots" الذين أُجبروا على الهجرة. فلو أننا فقط تُركنا فى سلام..! ولكن أظن أننا لن نترك فى سلام.

إن الظلم والاضطهاد لن يقضيا علينا. فلم يناضل شعب أو يتعرض للأذى على هذه الأرض كما حدث لنا. إن إيذاء اليهود بشكل متتابع قد قضى على ضعفائنا، أما الأقوياء منا فقد أخلصوا لجنسهم عندما تفشت أعمال التعذيب ضدهم، وقد ظهر هذا الموقف بجلاء خلال الفترة التى أعقبت تحرير اليهود. أما أولئك اليهود الذين اكتسبوا حظاً وافرا من العلم والثروة فقد تخلوا نهائياً عن الولاء لجنسهم، فحيثما ساد استقرارنا السياسى لفترة من الزمن استوعبتنا المجتمعات المحيطة بنا. وليس هذا مما يسىء إلى سمعتنا. ومن ثم فإن رجل الدولة الذى يرغب فى أن يرى اندماج اليهود فى نسيج أمته عليه أن يوفر الاستقرار السياسى لهم لفترة من الوقت. ولكن لن يفعل هذا أحد حتى ولو كان "بسمارك" نفسه.

إن التعصبات القديمة ضدنا لا تزال تكمن فى سويداء القلوب، ومن يريد براهين على ذلك لا يحتاج أكثر من أن ينصت إلى الناس عندما يتحدثون بصراحة وبساطة؛ فالأمثال والقصص الخرافية جميعها مناهضة للسامية.

---

2 من الواضح أن هرتسل هنا يتحدث عن وجه واحد من العملة مغفلاً الوجه الآخر. فهو يتحدث عن المجتمعات الأوروبية وكأنها المسئولة وحدها عما حدث لليهود، متناسياً أن اليهود كان لهم دور فى إثارة عداء تلك المجتمعات ضدهم. فتقوقع اليهود على أنفسهم، ومحاولتهم السيطرة على اقتصاديات تلك البلدان، والتآمر ضد بعض الأنظمة الحاكمة، كل ذلك وغيره كان من أسباب استعداء بعض المجتمعات الأوروبية ضد اليهود.=

=ولقد كان عباس العقد صادقاً - عند مناقشته لدعوى اضطهاد اليهود - فى تقريره أن الصهيونية هى المسئولة عن كل اضطهاد تجره على نفسها، وأنهم يستغلون دعوى الاضطهاد لإقناع الناس بمطالبهم، وأنه "ليس من حق صهيونى أن يشكو الاضطهاد إذا تعرض له بسوء نيته وسوء خلقه وسوء فعله، فإنما الذنب فيه ذنبه قبل غيره، وليس من شأن سوء النية وسوء الخلق وسوء الفعل أن يجر إلى المودة والشكر والثناء". (عباس محمود العقاد، الصهيونية العالمية (القاهرة: دار المعارف) ص46)

إن أى شعب أينما كان هو طفل كبير يمكن بالتأكيد تربيته، ولكن هذه التربية تستلزم فى أحسن الظروف حقبة طويلة من الزمن، نستطيع خلالها نحن ـ كما سبق أن ذكرت ـ أن نقضى على مشكلاتنا بوسائل أخرى، قبل أن تكون عملية التربية هذه قد أثمرت ثمارها.

إننى أعنى بالاندماج ليس فقط مجرد التطابق الظاهرى فى الملبس والعادات والتقاليد واللغة، ولكن أيضا فى وحدة الشعور والأخلاق. واندماج اليهود بهذا المعنى لن يتم إلا عن طريق الزواج المختلط. ولكن الحاجة إلى الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم يجب أن يكون تعبيراً عن شعور أغلبية السكان، وذلك لأن مجرد الاعتراف القانونى به ليس كافياً. لقد ارتكب المجريون الأحرار خطأً جسيماً عندما أباحوا الزواج المختلط، حيث أن واحدة من الحالات المبكرة تمثلت بشكل واضح فى زواج يهودى متنصر من يهودية أصيلة. وفى نفس الوقت فإن الكفاح فى سبيل إقرار مبدأ الزواج المختلط قد جسم الخلافات بين اليهود والمسيحيين، ومن ثم كان سبباً فى إعاقة امتزاج الأجناس أكثر مما ساعد على تحقيقه.

إن الذين يرغبون بصدق أن يروا اليهود يذوبون فى بوتقة واحدة مع الشعوب الأخرى ليس أمامهم غير طريق واحد، وهو أن يمتلك اليهود بادئ ذى بدء قوة اقتصادية تمكنهم من التغلب على التحيز الاجتماعى القديم الذى يمارس ضدهم. ولعل وضع الطبقة العليا من اليهود أصدق تعبير على ذلك حيث يحدث الزواج المختلط بين أفرادها بنسبة أكبر. لقد انقرضت بالتدريج تلك الأسر اليهودية التى استعادت بأموالها مكانتها العالية السالفة. ولكن أى شكل تأخذه هذه الظاهرة فى الطبقات الوسطى حيث يكون اليهود طبقة برجوازية فإن المسألة اليهودية تطرح نفسها بحدة.

إن الحصول المسبق على القوة يمكن أن يكون مرادفاً للتفوق الاقتصادى الذى يُتهم اليهود خطأً بأنهم يملكونه. ومن ثم إذا كانت القوة التى يملكها اليهود الآن تحدث ثورة ونقمة بين المناهضين للسامية فإن انفجارات أخرى يمكن أن تحدث إذا زادت قوة اليهود. وعليه فإن الخطوة الأولى تجاه استيعاب اليهود فى بنية الشعوب لن تتحقق، لأن هذه الخطوة سوف تتضمن خضوع الأكثرية من قبل أقلية محتقرة لا تملك قوة عسكرية ولا إدارية، ولذلك فإننى واثق أن اندماج اليهود مع غيرهم عن طريق إحراز مزيد من الرخاء الاقتصادى غير ممكن التحقيق.

لا شك أن آرائى فى هذا الصدد سوف تقابل بالترحيب فى البلاد التى تتميز بمناهضة السامية. أما فى البلاد الأخرى، حيث يعيش اليهود فى بحبوحة فإنهم سوف يتلقونها برفض شديد. إن إخوانى فى الدين الذين هم أكثر سعادة لن يصدقوننى حتى يتعلمون الحقيقة من درس السخرية باليهود، وذلك أنه كلما طال أمد كبت العداء للسامية كلما كان انفجارها أشد شراسة. إن تسلل اليهود الهاجرين منجذبين إلى أرض ما بسبب الأمن الظاهرى، وارتقاءهم فى السلم الاجتماعى بين ذويهم، هذان العنصران معاً إذا تضافرا بقوة من شأنهما أن يحدثا ثورة. وليس هناك أكثر بساطة ووضوحاً من هذه الخلاصة.

لأننى وصلت إلى هذه الخلاصة غير مكترث بشىء سوى البحث عن الحقيقة ـ فقد يعترض علىّ اليهود الذين يحيون حياةً ميسرة ويقاوموننى. إن مثل هذه المصالح الخاصة التى يتشبث بها أصحابها من القلقين والهيّابين لاعتقادهم أنها فى خطر ـ مثل هذه المصالح يمكن تجاهلها ببساطة، لأن مصالح الفقراء والمظلومين أعظم أهمية من تلك المصالح.

غير أننى أريد بادئ ذى بدء أن أتجنب أى سوء فهم قد ينشأ بصفة خاصة من فكرة خاطئة أن مشروعى عندما يتحقق قد يمس بأقل الضرر الثروات التى يمتلكها اليهود الآن، لذلك فإننى سوف أشرح كل شىء يتصل بحقوق الملكية بتفصيل كامل. إن الأمور ستبقى على ما هى عليه طالما بقيت خطتى قطعة أدبية. أكثر من هذا قد يعترض علىّ معترض بأننى قد أعطيت ذريعة لاضطهاد السامية عندما قلت: "إننا شعب.. وشعب واحد"، وأننى بذلك أقف فى طريق اندماج اليهود وقد أوشك على الاكتمال، وأننى أخاطر به وقد أصبح واقعاً متحققاً، ذلك إذا كان لكاتب بمفرده أن يمنع شيئاً أو يعرضه للخطر.

هذا الاعتراض سوف يقوم بصفة خاصة فى فرنسا، وقد يحدث فى بلاد أخرى كذلك، ولكننى سوف أرد على اليهود الفرنسيين أولاً لأنهم يقدمون أبرز مثال على النقطة التى أثرتها.

إننى مهما كنت أقدس الشخصية ـ سواء كانت شخصية فردية قوية كما تتمثل فى السياسيين والمخترعين والفلاسفة والقادة، أو كانت شخصية لجماعة تاريخية من الناس كما نطلق عليها اسم أمّة ـ مهما كنت أقدس هذه الشخصية فإننى لا أندم على اندثارها. فمن كان قابلاً للفناء أو فى طريقه إليه أو يجب أن يفنى فلندعه يفنى. أما القومية المتميزة لليهود فلا يمكن أن تفنى ولن تفنى ولا ينبغى لها أن تفنى. إنه لا يمكن تدميرها، لأن الأعداء الخارجيين يدعمونها، إنها لن تُدمر لأن ألفى عام من المعاناة الرهيبة تؤكد ذلك، أنه لا ينبغى تدميرها، وأنا ـ كواحد من أعداد لا تُحصى من أبناء اليهود الذين لم يتطرق اليأس إلى قلوبهم ـ سوف أحاول مرة أخرى فى هذا الكتيب أن أبرهن على صحة هذه المقولة. قد تبلى فروع كثيرة من اليهودية وتسقط، أما الجذوع فإنها تبقى ثابتة.

وإذا كان بعض اليهود الفرنسيين أو جميعهم يعترضون على مشروعى متعللين بقصة اندماجهم فإن جوابى بسيط. إن الأمر برمته لا يعنيهم فى شىء على الإطلاق. إنهم يهود فرنسيون، حسناً! فليعلموا أن هذا أمر يخص اليهود وحدهم.

إن التحرك تجاه تنظيم الدولة كما أقترحه لن يضير اليهود الفرنسيين ـ بطبيعة الحال ـ بأكثر مما يضير غيرهم من اليهود المندمجين فى شعوب أخرى. على العكس من ذلك فإنه سيكون لصالحهم بصفة خاصة، لأنهم لن يظلوا قلقين فى أوضاعهم المتغيرة كما يقول "دارون"، بل سيصبحون قادرين على أن يندمجوا بسلام، لأن العداء للسامية الذى يجرى حاليا سيكون قد اختفى إلى الأبد. ومما لا شك فيه أن الفضل سينسب إليهم فى أنهم قد اندمجوا إلى أعمق أرواحهم طالما بقوا حيث كانوا، بعد أن تكون الدولة اليهودية الجديدة بمؤسساتها المتفوقة قد أصبحت واقعاً.

أما اليهود المندمجون فسوف يستفيدون ـ ربما أكثر من المواطنين المسيحيين ـ من رحيل اليهود المخلصين؛ لأنهم سيتخلصون بذلك من أولئك المضطربين من يهود الطبقة العاملة الذين يسوقهم الفقر والضغوط السياسية من مكان إلى مكان آخر ومن بلد إلى بلد آخر. سوف تستقر هذه الطبقة العاملة الهائمة. إن كثيراً من المواطنين المسيحيين ـ الذين نطلق عليهم أعداء السامية ـ يمكنهم حينئذ أن يظهروا مقاومة صلبة لهجرة اليهود الأجانب، أما المواطنون اليهود فلا يستطيعون أن يفعلوا هذا رغم أن الهجرة ستؤثر عليهم ربما أكثر من غيرهم، فعليهم أولاً قبل كل شىء تقع المنافسة الحادة من أفراد يقومون بفروع مماثلة من الصناعة، وإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الأفراد بهجرتهم يأخذون معهم العداء للسامية

حيث لم يكن موجوداً من قبل أو يزيدون من حدته حيثما وجد. إن "المندمجين" يعبرون عن هذا الضيم المستتر بأعمال الإحسان، فهم ينشئون جمعيات لتهجير اليهود المشردين. وهناك عكس الصورة التى قد تبدو مضحكة لو لم تكن تتعامل مع آدميين، فإن بعض هذه المؤسسات الخيرية أنشئت لا لمصلحة اليهود المضطهدين ولكن ضدهم، فقد أنشئت لترحيل هذه المخلوقات التعيسة فى أسرع وقت وإلى أبعد ما يمكن. وهكذا فإن كثيراً ممّن يبدون على أنهم أصدقاء لليهود يصبحون ـ بالفحص الدقيق ـ أعداء للسامية من أصل يهودى، لكنهم متنكرين فى ثياب الإحسان.

إن المحاولات الاستعمارية التى قام بها بعض المحسنين الجادين رغم أهميتها لم تنجح[3]. ولا أعتقد أن هذا الرجل أو ذاك قد أخذ الأمر مجرد تسلية، أو أنهم دخلوا موضوع تهجير اليهود الفقراء كما يدخلون حلبة سباق الخيل، ذلك أن الأمر أخطر من ذلك وأكثر مأساوية. كان لهذه المحاولات أهمية من حيث أنها مثلت على نطاق ضيق السوابق العملية لفكرة الدولة اليهودية. ولعل هذه المحاولات كانت مفيدة من حيث أنه من أخطائها يمكن تجميع خبرات لتنفيذ الفكرة على نطاق أوسع. كذلك فإن لهذه المحاولات جوانبها السلبية. فإن نقل العداء للسامية إلى أماكن أخرى ـ وهو نتيجة لا يمكن تجنبها لهذا التسلل الاصطناعى ـ يبدو لى أقل هذه الشرور. والأسوأ من هذا بكثير أن النتائج غير المواتية تُلقى شكوكاً على فائدة النسيج الإنسانى لليهود. ولكن الحجة البسيطة التالية ستزيل هذه الشكوك من عقول الرجال الأذكياء. فإن ما هو غير عملى أو ما لا يمكن تحقيقه على نطاق ضيق ليس من الضرورى أن يكون هذا حاله على النطاق الأوسع، فمشروع صغير قد يؤدى إلى خسارة تحت نفس الظروف التى تجعل مشروعاً كبيراً ينجح. إن النهير الصغير قد لا يستطيع مركب صغير أن يعبره أما النهر الذى يصب فيه فإنه يستطيع أن يحمل السفن الحديدية.

ليس هناك إنسان غنى أو قوى بالقدر الذى يستطيع أن ينقل أمة من بيئة لتستوطن بيئة أخرى. الفكرة وحدها هى التى تستطيع ذلك، تلك هى فكرة "الدولة"، فهى وحدها التى يمكن أن تحمل فى طياتها القوة اللازمة لأن تفعل ذلك. لقد ظل اليهود يحلمون هذا الحلم الملكى خلال الليالى الطويلة من تاريخهم. "العام القادم فى القدس" إنها عبارتنا القديمة. المشكلة الآن أن يتحول هذا الحلم إلى واقع حى.

من أجل هذا لابد أولاً أن تمحى من عقول الناس تماماً تلك الأفكار القديمة المتضخمة أو المضطربة أو المحدودة. فربما تتصور لبعض العقود البليدة أن هذا النزوح سيكون من مناطق متحضرة إلى الصحراء، والأمر ليس كذلك، فسوف يتم النزوح فى قلب الحضارة، فلن ننزل إلى مرحلة أقل بل سنرتفع إلى مرحلة أعلى، لن نعيش فى أكواخ من الطين، بل سنبنى بيوتاً جديدة أجمل وأحدث وسنمتلكها بسلام، ولن نضيع منا ممتلكاتنا بل سنحققها، إننا سنتنازل عن حقوقنا المكتسبة بحق من أجل حقوق أفضل. إننا لن نضحى بتقاليدنا المحببة بل سنجدها ثانية. إننا لن نتخلى عن بيوتنا القديمة إلا بعد إعداد بيوت جديدة لنا. إن الذين سيرحلون هم أولئك الذين لديهم يقين بأنهم سوف يحسنون أحوالهم؛ سيرحل فى البداية

---

3 يقصد هرتسل بذلك تلك المحاولات التى قام بها بعض أثرياء اليهود مثل البارون "موريس هيرش" لتمويل الاستيطان اليهودى فى الأرجنتين، والبارون "ادمون دى روتشيلد" للإنفاق على المستعمرات الزراعية فى فلسطين.

المعدمون، ثم الفقراء، ثم الموفقون فى أعمالهم وآخر الراحلين جميعاً هم الأثرياء. فأما الذين سيذهبون فى البداية فسيرتفعون بأنفسهم إلى درجة أعلى تساوى درجة الذين سيتبعونهم بعد فترة قصيرة، ومن ثم فإن النزوح سيكون فى نفس الوقت ارتفاع فى سلم الطبقات.

إن رحيل اليهود لن يؤدى إلى اضطراب اقتصادى أو أزمات أو اضطهادات. إن البلاد التى سينزحون منها سوف تفيق على مرحلة جديدة من الرخاء، فسوف يكون هناك هجرة داخلية للمواطنين المسيحيين ليحتلوا المراكز التى تركها اليهود. وسيكون التيار المنسحب بطريقة تدريجية وبدون اضطراب. وسوف تضع أول خطوة فى هذه الحركة نهاية العداء للسامية. سوف يرحل اليهود كأصدقاء محترمين، وإذا عاد بعضهم فسوف يُستقبل بنفس الترحيب ونفس المعاملة التى تقدمها الشعوب المتحضرة لجميع الزوار الأجانب.

إن رحيلهم لن يقارن بالهروب لأنه سيكون حركة بالغة التنظيم تحت مراقبة الرأى العام. إن الحركة لن تبدأ متسقة فقط مع القانون، بل إنه لا يمكن تنفيذها بدون التعاون الصادق من الحكومات المعنية، والتى ستحصل على فوائد كبرى من ورائها.

إن ضمان نزاهة الفكرة وقوة تنفيذها سيتحقق من خلال إنشاء هيئة عامة سوف تسمى "جمعية اليهود The Society of Jews" وإلى جانب هذه الجمعية ستوجد شركة يهودية وهى مؤسسة إنتاجية اقتصادية.

إن أى فرد يحاول وحده أن يقوم بهذه المهمة الكبرى لابد أن يكون إما دعىّ أو مجنون. وسوف تضمن سمعة الشخصيات أعضاء هذه الهيئة نزاهتها، وسوف يضمن رأس المال الكافى للشركة استقرارها. هذه الملاحظات التمهيدية نقصد بها مجرد إجابة سريعة على كثرة من الاعتراضات التى سيثيرها بكل تأكيد عبارة "الدولة اليهودية" فى حد ذاتها. ومن ثم فسوف نمضى ببطء أكثر لمواجهة اعتراضات أخرى، وسنشرح بالتفصيل ما قد ألمحنا إليه حتى الآن. وسوف نحاول لصالح هذا الكتيب ألا نجعل عرضه مملاً. ولكى نحقق الغرض فسنجعله فى أجزاء قصيرة موجزة.

إذا كنت أريد أن استبدل مبنىً قديماً بمبنى جديد فعلىّ أن أهدم قبل أن أبنى، ولذلك فسوف أحافظ على هذا التسلسل الطبيعى. ففى الجزء الأول والعام من الكتيب سأشرح أفكارى، وأزيل كل عوامل التحيز، وأحدد الشروط الأساسية سياسياً واقتصادياً ثم أطوّر الخطة.

وفى الجزء الخاص المقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية سوف أتعرض لوصف تنفيذ الخطة. هذه الأقسام الثلاثة هى: الشركة اليهودية، والمجموعات المحلية، وجمعية اليهود. يجب أن تنشأ الجمعية أولاً ثم الشركة بعد ذلك، ولكن العكس مفضل فى هذا السياق، لأن سلامة تمويل المشروع هى ـ على الأغلب ـ التى ستوجد القضية، وأى شك فى هذه الناحية لابد من إزاحته أولاً.

وفى الخلاصة سوف أحاول مواجهة أى اعتراض آخر يمكن أن يقوم. وإننى لآمل من قرائى اليهود أن يتابعونى بصبرٍ حتى النهاية، وبطبيعة الحال سوف يضع البعض

اعتراضاتهم فى تتابع مختلف عن السياق الذى اخترته لدحض اعتراضاتهم. ولكن كل من يرى شكوكه تُفنَد ينبغى أن يمنح إخلاصه للقضية.

رغم أننى أتحدث حديث المنطق إلا أننى مدرك تماماً أن المنطق وحده لن يكون كافياً. فالمساجين الذين طال عليهم العهد لا يتركون سجونهم راغبين. ولسوف نرى إذا ما كان الشبان الذين نحتاج إليهم طوع إرادتنا، هؤلاء الشباب هم الذين سيستدرجون الشيوخ برغبة لا تُقاوم، سيحملونهم إلى الأمام بأذرع قوية، وسوف يحولون البواعث الفكرية إلى حماس.

الفصل الثانى
ـ المسألة اليهودية

لا أحد يستطيع أن ينكر خطورة وضع اليهود، فحيثما يعيشون فى أعداد ملحوظة تجد أنهم مضطهدون بشكل أو آخر. لقد أصبحت مساواتهم أمام القانون ــ التى منحها لهم التشريع ـ حبراً على ورق، فهم محرومون من شغل الوظائف ذات الأهمية النسبية سواء فى الجيش أو فى مجال عام أو خاص. بل إن المحاولات قائمة لإبعادهم عن شتى المهن أيضاً "لا تشترى من اليهود".

الحملات عليهم فى البرلمانات وفى الاجتماعات، وفى الصحافة وعلى المنابر، وفى الشوارع، وخلال الرحلات، فهم مستبعدون مثلاً من فنادق معينة.. حتى فى أماكن التسلية، كل هذا أصبح يتكرر كثيراً فى كل يوم. إن أشكال الاضطهاد تختلف تبعاً للبلد أو الوسط الاجتماعى الذى تحدث فيه: ففى روسيا تجمع الضرائب من قرى اليهود، وفى رومانيا يحكم على بعضهم بالإعدام، وفى ألمانيا يتعرضون للضرب المهين، وفى النمسا يسود العداء للسامية ويُمارس الإرهاب على الحياة العامة لليهود، وفى الجزائر هناك مثيرون للفتن طوافون فى كل مكان، وفى باريس تغلق أمام اليهود ما يطلق عليها اسم الدوائر الاجتماعية الراقية، وهم ممنوعون من الاشتراك فى الأندية. وهكذا نجد ظلالاً لا يُحصى عددها من مشاعر العداء للسامية. ولكننا هنا لسنا بصدد تصوير معاناة اليهود كحالة مأساوية، فمن العبث إطالة النظر فى تفاصيل مهما كانت مؤلمة.

لست أعتزم إثارة مشاعر الشفقة علينا فقد يكون فى هذا غباءً وعبثاً وعملاً لا كرامة فيه، ومن ثم فسوف أقتصر على وضع هذه الأسئلة أمام اليهود: أليس صحيحاً أنه فى البلاد التى نعيش فيها بأعدادٍ ملحوظة فإن أوضاعنا ـ سواء فى ذلك المحامين أو الأطباء أو الفنيين أو المدرسين أو الموظفين من كل صنف ـ تتحول من سيئ إلى أسوأ.. يوماً بعد يوم؟

أليس صحيحاً أن حياة الطبقة المتوسطة من اليهود مهددة تهديداً حقيقياً؟ أليس صحيحاً أن مشاعر الغضب لدى الرعاع مستثارة ضد أغنيائنا؟ أليس صحيحاً أن فقراءنا يتحملون آلاماً أعظم من غيرهم من أبناء الطبقة العاملة؟ إننى أرى أن هذه الضغوط الخارجية تكشف عن آثارها فى كل مكان؛ ففى طبقاتنا الاقتصادية العليا تسبب انزعاجاً، وفى طبقاتنا المتوسطة تسبب قلقاً شديداً، أما فى طبقاتنا الفقيرة فإنها تحدث يأساً مطلقاً.

فى الواقع إن كل شىء يتجه إلى خلاصة واحدة تعبر عنها بوضوح العبارة التقليدية فى برلين "أيها اليهود أخرجوا".

والآن سوف أضع المشكلة اليهودية فى أكثر الأشكال تأكيداً: هلى أصبح علينا الآن أن نرحل؟ وإذا كان الأمر كذلك فإلى أين؟ أم لا يزال علينا أن نبقى؟ وإذا كان كذلك فلأى فترة من الزمن؟

دعنا أولاً ننظر فى نقطة أن نبقى حيث نحن، فهل يمكن أن نأمل فى أيام أفضل؟ هل نستطيع أن نعتصم بالصبر؟ أن ننتظر فى استسلام مطلق حتى يُبدى أمراء وشعوب هذه الأرض استعداداً لرحمتنا؟ إننى أزعم أننا لا يمكن أن نأمل فى أى تغيير فى الشعور السائد

الآن؟ ولم ذلك؟ إننا حتى لو كنا أقرب إلى قلوب الأمراء كرعاياهم الآخرين فإنهم رغم كل شيء لم يستطيعوا حمايتنا، وكل ما استطاعوه هو أن يغذوا الكراهية العامة لليهود عندما يظهرون تجاهنا من الرضا أكثر ممن ينبغى. وما أعنيه "بأكثر مما ينبغى" فى الحقيقة هو أقل ما يطالب به كحق أىُّ مواطن عادى أو جماعة عرقية. إن الأمم التى يعيش فى وسطها اليهود جميعها مناهضة للسامية بشكل علنى أو مستتر.

إن الأشخاص العاديين ليس لديهم، ولا يمكن فى الحقيقة أن يكون لديهم إدراك تاريخى، إنهم لا يعلمون أن آثام العصور الوسطى تعود اليوم إلى أوربا. إننا نحن اليهود قد صَنَعنا الجيتو على ما نحن عليه. فمما لا شك فيه أننا اكتسبنا تفوقاً مالياً لأن ظروف العصور الوسطى دفعتنا إلى ذلك. والآن تتكرر نفس العملية، فقد أجبرنا مرة أخرى على العمل فى البورصة حيث حُرِّم علينا أى نشاط اقتصادى آخر. ولأننا فى البورصة فإننا بالتالى نتعرض من جديدٍ للاحتقار. وفى نفس الوقت نحن مستمرون فى تخريج كثرة من المتعلمين الذين لا يجدون متنفساً لهم، وهذا يعرض أوضاعنا الاجتماعية للخطر بنفس القدر الذى بفعله ثراؤنا المتزايد. إن اليهود المتعلمين الذين يعوزهم المال سرعان ما يتحولون إلى الاشتراكية. وهكذا فإننا بالتأكيد نعانى بشدة فى الصراع الطبقى، لأننا نقف فى أكثر المواقع تعرضاً بين كلٍ من معسكرى الاشتراكيين والرأسماليين.

محاولات سابقة للحل

إن الأساليب المصطنعة التى استخدمت حتى الآن للتغلب على متاعب اليهود إما بالغة التفاهة كالمحاولات الاستعمارية[1]، أو خاطئة من حيث المبدأ كالسعى لتحويل اليهود إلى فلاحين فى أوطانهم الراهنة.

وما الذى يمكن اكتسابه بنقل بضعة آلاف من اليهود إلى دولة أخرى؟ إنهم إما أن يصابوا بالفشل على الفور، أو يكون النجاح حليفهم، وفى هذه الحالة فإن نجاحهم هذا سيولد العداء للسامية. لقد ناقشنا الآن هذه المحاولات لتوجيه اليهود الفقراء إلى مناطق جديدة، ومن الواضح أن هذا التوجيه غير كاف ولا طائل من ورائه، إذا لم يكن فى الحقيقة محبطاً للنتائج المرجوة، لأن ما يفعله هو مجرد إطالة الحل أو تأجيله، ولربما يكون سبباً فى تفاقم المشكلات.

إن من يسعى لتحويل اليهودى إلى فلاح يرتكب خطأً فاحشاً. فالفلاح سجين فئة تاريخية، تؤكد هذا ملابسه التى لم تتغير على مدى القرون فى بعض البلاد، أدوات عمله هى نفسها الأدوات التى استخدمها أجداده الأقدمون، نورجه لم يتغير، إنه يحمل البذور فى مئزره ويقطع العشب بمنجله التاريخى، ويدرس الحبوب بمضربه الأثرى. ولكننا نعلم أن هذا كله يمكن عمله بالماكينات. إن المشكلة الزراعية هى مجرد مشكلة ميكنة. إن أمريكا ينبغى أن تغزو أوربا بنفس الطريقة التى يبتلع بها كبار ملاك الأراضى صغارهم. وهكذا فإن الفلاح فئة فى طريقها إلى الانقراض. وحيثما يُفرض عليه الاستمرار، فإن ذلك يحدث لحساب مصالح سياسية يجهز لخدمتها. إنه سخف وبالتأكيد مستحيل أن نصنع على النمط القديم فلاحين محدثين.

---

1 المقصود هنا هو المحاولات الاستيطانية للأراضى.

ليس هناك فرد من الغنى أو القوة بالدرجة التى يستطيع بها أن يجعل الحضارة تتخلف خطوة واحدة إلى الوراء. إن مجرد الاحتفاظ بالمؤسسات المنقرضة مهمة عسيرة، حيث أنها تتطلب فرض جميع الإجراءات الاستبدادية لدولة يحكمها حاكمٌ مطلق.

فهل لنا أن نثق فى اليهود الأذكياء الذين يرغبون فى أن يصبحوا فلاحين على النمط البائد؟ إننى سأقول لهم: هذه قوس فلتذهبوا إلى الحرب! ماذا؟.. قوس، بينما الآخرون لديهم البنادق والمدافع. إن اليهود تحت هذه الظروف من حقهم أن يرفضوا أن يتحركوا إذا حاول أناس أن يصنعوا منهم فلاحين.

إن القوس سلاح جميل مثير للأشجان لو أن عندى من الوقت ما يسمح بذلك، ولكن من الإنصاف أن يوضع القوس فى المتحف. والآن هناك بالتأكيد مناطق يذهب إليها اليهود اليائسون، أو على أى حال، لديهم الرغبة فى أن يذهبوا إليها ليفلحوا الأرض. ولكن الملاحظة البسيطة تبين لنا أن هذه المناطق مثل مقاطعة هس فى ألمانيا وبعض المناطق الأخرى فى روسيا، هذه المناطق بذاتها هى المناطق الرئيسة التى يُعشش فيها العداء للسامية.

إن مصلحى العالم الذين يبعثون باليهود إلى النورج ينسون شخصاً بالغ الأهمية لديه الكثير ليدلى به فى الموضوع. هذا الشخص هو المهندس الزراعى، وهو أيضاً لديه الحق كل الحق، فضريبة الأرض والمخاطر المتصلة بالمحاصيل والضغوط من جانب الملاك الكبار الذين ينقصون من قدر العمل، وبصفة خاصة المنافسة الأمريكية، كل هذه الظروف مجتمعة تجعل حياته بالغة الصعوبة. إلى جانب ذلك، فإن الرسوم على الغلال المستوردة لا يمكن أن تستمر فى الصعود إلى الأبد. ولا يمكن أن يترك صاحب المعمل يموت جوعاً، فإن نفوذه السياسى ـ فى الواقع ـ فى صعود، ولذا يجب معاملته معاملة خاصة.

كل هذه الصعوبات معروفة للجميع، ولذلك فإننى أشير إليها فقط بشكل عابر. كل ما أريد أن أبرزه بوضوح هو أن المحاولات السابقة لحل المسألة اليهودية كانت بلا جدوى وإن صحب أكثرها حسن القصد.

ولكن لا تحويل المجرى، ولا القمع المصطنع للمستوى العقلى لطبقتنا العاملة يمكن أن يتغلب على هذه المصاعب. إننا نبحث الآن عن الاستيعاب المفترض والملائم والمؤكد النجاح. إننا لا نستطيع معالجة العداء للسامية بأى حيلة من هذه الحيل. فالعداء للسامية لا يمكن أن يزول طالما بقيت أسبابه قائمة.. فهل هى قابلةٌ للزوال؟

أسباب العداء للسامية

لن نتطرق مرة أخرى إلى تلك الأسباب التى هى نتاج المزاج كالتعصب وضيق الأفق، وإنما نقتصر على الأسباب السياسية والاقتصادية وحدها.

إن العداء الحديث للسامية لا ينبغى أن يختلط علينا مع الاضطهاد الدينى لليهود فى الزمن الماضى، إنه يتخذ أحياناً شكل التعصب الدينى فى بعض البلاد، ولكن التيار الرئيسى لحركة العنف قد تغير الآن. إنه يحدث نتيجة لتحرير اليهود فى أكبر البلاد التى يسود فيها العداء للسامية. فعندما تنبهت الأممُ المتحضرةُ إلى لا إنسانية قوانين التمييز العنصرى

أعتقونا، ولكن تحريرنا جاء متأخراً جداً فلم يعد من الممكن إزالة عجزنا فى أوطاننا القديمة. فمن الغريب أننا ونحن فى الجيتو قد تحولنا إلى برجوازيين، وخرجنا منه فقط لندخل فى منافسة ضارية مع الطبقة المتوسطة. وهكذا وضعنا تحريرُنا فجأةً فى وسط دائرة الطبقة المتوسطة لنتحملَ ضغطاً مزدوجاً، أحدهما يأتى من داخلنا والآخر يأتى من الخارج. إن المسيحيين البرجوازيين لن يمتنعوا عن جعلنا ضحيةً للاشتراكية، وإن كان هذا لن يحسّن الأمور كثيرا. وفى نفس الوقت لا يمكن إلغاء حقوق اليهود فى المساواة أمام القانون بعد أن تم التسليم لهم بها. ليس لأن ذلك سيكون مضاداً لروح عصرنا، ولكن أيضاً لأنه سيدفع اليهود على الفور ـ أغنياء وفقراء على السواء ـ إلى صفوف الأحزاب المخربة. فلم يعد هناك شىء فعال للإضرار بنا.

لقد كانت مجوهراتنا فى الماضى تصادر. ولكن كيف يمكن الوصول إلى ممتلكاتنا المنقولة الآن؟ إنها تتألف من أوراق مطبوعة مغلق عليها فى مكان ما بالعالم، ربما فى صناديق المسيحيين. وطبعاً من الممكن الوصول إلى السندات والأسهم فى السكك الحديدية والبنوك والمشروعات الصناعية من كل نوع، وذلك من خلال الضرائب، فحيثما يُطَبْقُ نظامٌ متقدمٌ للضرائبِ فإن ممتلكاتنا المتنقلة يمكن فى النهاية الوصول إليها. ولكن هذه الجهود لا يمكن قصرها على اليهود وحدهم، ومهما يكن من الأمر فإنها حيثما وجدت فإن أثرها المباشر سيكون كارثة اقتصادية حادة، لن يقتصر أثرها على اليهود بأى حال، وإن كانوا أول من يتأثر بها قبل غيرهم. وهذه الاستحالة فى الوصول إلى اليهود هى نفسها التى تغذى الكراهية ضد اليهود وتجعلها أكثر مرارة.

إن العداء للسامية بين الشعوب يتعاظم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، وهى حريّة بأن تتعاظم حقاً، لأن أسباب نموها مستمرة فى الوجود ولا يمكن إزالتها. فسببها القديم هو فقداننا القدرة على الاندماج خلال العصور الوسطى، أما سببها الراهن فيرجع إلى ظهور أنصاف المثقفين بيننا بأعداد كبيرة، وهؤلاء لا يجدون متنفساً أسفلهم أو من فوقهم، أعنى أنهم لا يجدون متنفساً صحيحاً فى أى اتجاه. ونحن عندما نغرق نصبح بروليتاريا ثائرة من أتباع جميع الأحزاب الثورية، وفى نفس الوقت عندما نرتفع ترتفع معنا القوة الرهيبة للمال.

آثار العداء للسامية

إن القهر الذى يقع علينا لا يُصلحنا، فنحن لسنا بأفضل ذرة واحدة من غيرنا من البشر العاديين. إنه لصحيح أننا لا نحب أعداءنا، ولكن الذى يستطيع أن يقهر نفسه هو الوحيد الذى يجرؤ على أن يلومنا لهذا الخطأ.

إن القهر بطبيعته يولد عداء ضد الطغاة، وعداؤنا جعل الضغوط تتفاقم، وهكذا أصبح من المستحيل أن نهرب من هذه الدائرة الأبدية. "لا".. بعض الحالمين من أصحاب القلوب الرقيقة سيقولون "لا.. بل من الممكن!.. ممكن من خلال الكمال المطلق للإنسانية.. فهل تستحق هذه النظرة إبراز ما فيها من حماقة عاطفية؟ إن الذى يبنى أمله فى إصلاح الأوضاع على الكمال المطلق للإنسانية إنما يصور مدينة فاضلة.

لقد ألمحت فيما سبق إلى مسألة "إدماجنا"، ولا أريد أن يُفهم من كلامى ولو للحظة واحدة أننى أرغب فى نهاية كهذه.

إن شخصيتنا القومية مشهورة تاريخياً شهرة لا مراء فيها. وعلى الرغم من كل إذلال فإنها أقوى من أن تجعل القضاء عليها أمراً مرغوباً فيه.

ربما يكون فى مقدورنا الاندماج تماماً فى الأجناس التى تحيط بنا إذا شاءت هذه الأجناس أن تدعنا فى سلام لمدة جيلين. ولكنهم لن يدعونا فى سلام. إنهم قد يتحملوننا لفترة قصيرة من الزمن، ثم يبدأ عداؤهم يتفجر مرة بعد مرة.

إن العالم ـ بشكل ما ـ يستفزه ازدهارنا لأنه على مدى القرون اعتاد على اعتبارنا أحط الفقراء. وهو بسبب جهله وضيق أفقه قد أخفق فى أن يلاحظ أن الازدهار يضعف يهوديتنا ويطفئ ميزاتها. إنها الضغوط وحدها هى التى تدفعنا للعودة إلى جذورنا، إنها الكراهية التى تحيط بنا هى التى تجعلنا غرباء مرة أخرى.

وهكذا سواء رغبنا أو لم نرغب فإننا الآن وسوف نظل، جماعة تاريخية ذات خصائص عامة لا يمكن أن تخطئها العين. إننا شعب واحد.. لقد جعلنا أعداؤنا نتوحد فى ضغينتنا، كما حدث مراراً فى التاريخ. إن الكروب تجمعنا معاً ومن ثم توحدنا.. وفجأة نكتشف قوتنا.. نعم، إننا من القوة بحيث نستطيع أن نقيم دولة.. وفى الحقيقة.. دولة نموذجية. إننا نملك كل الموارد الإنسانية والمادية اللازمة لهذا الغرض.

لعل هذا أنسب مكان لكى أستعرض ما أسميناه بشكل تقريبى "نسيج إنسانيتنا"، ولكن قد لا يكون هذا العمل موضع تقدير الآن إلى أن نضع أولاً الخطوط العريضة للخطة التى يتوقف عليها كل شئ.

الخطة

إن الخطة العامة فى جوهرها بسيطة كل البساطة كما ينبغى لها أن تكون لو أنها أصبحت مفهومة للجميع. فلتُمنح السيادة على جزء من الأرض يكفى للاحتياجات الحقيقية لأمة. وسوف نتكفل نحن بالباقى.

إن إقامة دولة جديدة ليس أمراً يدعو للسخرية ولا هو مستحيل. لقد شاهدنا فى أيامنا الحالية هذه العملية تتم بين شعوب ليست بشكل كبير من الطبقة الوسطى وإنما أكثر فقراً وأقل تعليماً وبالتالى أضعف منا. إن الحكومات فى جميع البلاد التى انتُقِدَتْ بسبب العداء للسامية سوف تكون حريصة على مساعدتنا فى الحصول على السيادة التى نريدها.

إن الخطة، وهى بسيطة فى تصميمها معقدة فى تنفيذها، سوف تقوم بها مؤسستان: جمعية اليهود والشركة اليهودية. سوف تقوم جمعية اليهود بالأعمال التمهيدية فى مجالى العلم والسياسة، ثم تقوم الشركة اليهودية فيما بعد بتطبيقها عملياً. سوف تنظر الشركة اليهودية فى تحقيق المصالح المالية لليهود الراحلين، وسوف تنظم الاقتصاد والتجارة فى الدولة الجديدة.

لا ينبغى أن نتصور أن رحيل اليهود سيكون رحيلاً مفاجئاً، وإنما سيكون رحيلاً تدريجياً ومستمراً على مدى عقود من الزمان. سوف يرحل أولاً الأكثر فقراً لزراعة الأرض، وفى إطار خطة سبق تصميمها، سوف ينشئون الطرق والجسور، والسكك الحديدية والتلغراف، واستثمار الأنهار، وبناء مساكنهم، وسيخلق عملهم هذه التجارة،

وستخلق التجارة الأسواق، وسوف تجذب الأسواق مستوطني جدد، لأن كل واحد منهم سيذهب مختاراً على حسابه الخاص، وسيأخذ المخاطرة على عاتقه.

إن العمل الذى سينفق على الأرض سيرفع من قيمتها، وسرعان ما سيدرك اليهود أن مجالاً جديداً ودائماً للعمل قد انفتح أمام روح المغامرة التى استقبلت من قبل بكراهية واشمئزاز.

إذا أردنا اليوم أن نقيم دولة فلن نقيمها بنفس الطريقة التى كانت هى الإمكانية الوحيدة منذ ألف سنة. إنه من الغباء الرجوع إلى المراحل الحضارية السابقة كما يريد كثير من الصهاينة أن يفعلوا. لنفرض كمثال على ذلك، أنه كان علينا أن نُخْلِىَ أرضاً من الحيوانات المفترسة، فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التى اتبعها الأوربيون فى القرن الخامس. فلا يصح أن نأخذ رمحاً وحربة ونخرج أفراداً وراء الدببة، بل ينبغى أن ننظم مجموعة قوية من الصيادين، فنسوق الحيوانات لنجمعهم معاً فى مكان واحد ثم نقذف فى وسطهم قنبلة مدمرة.

وإذا أردنا أن نقوم بعمليات بناء فان ننصب حشوداً من الأعمدة والركائز على شاطئ بحيرة، ولكننا سنبنى كما يبنى الناس الآن. وبالتأكيد سوف نبنى بأسلوب أجرأ وأكثر فخامة من أى أسلوب تبنّاه الناسُ من قبل، فنحن الآن نملك وسائل لم يمتلكها السابقون.

إن المهاجرين الذين يقفون فى أسفل السلم الاقتصادى سوف يتبعهم ببطء أولئك الذين هم أفضل منهم حالاً. هؤلاء الذين يعيشون الآن فى يأس سوف يذهبون أولاً. وسف يليهم المتعلمون الذين نوفرهم بأعداد لا حصر لها، والذين يضطهدون فى كل مكان.

إن هذا الكتيب سوف يفتح مناقشة عامة حول المشكلة اليهودية، ولكن هذا لا يعنى أنه سيتم التصويت على ذلك، فإن مثل هذه النتيجة قد تحبط الفكرة منذ البداية، إن المعارضين يجب أن يتذكروا أن الولاء أو المعارضة هما اختيار مطلق، فالذى لا يريد أن يأتى معنا يمكنه أن يبقى حيث هو.

دع جميع الذين يريدون أن ينضموا إلينا أن يصطفوا خلف أعلامنا، وأن يحاربوا فى سبيل قضيتنا بالصوت والعلم والعمل.

هؤلاء اليهود الذين سيحتضنون فكرتنا عن الدولة سوف يرتبطون بالجمعية التى ستُعْطى الصلاحية للتباحث مع الحكومات باسم شعبنا. وسوف تعترف الحكومات بالجمعية باعتبارها سلطة لإقامة الدولة.

فإذا أعلنت السلطات أنها ترغب فى الاعتراف بسيادتنا على قطعة من الأرض، فإن الجمعية ستدخل فى مفاوضات لتملك هذه الأرض.

وهناك الآن منطقتان موضوعتان فى الاعتبار: فلسطين والأرجنتين. ففى كلا البلدين هناك تجارب استعمارية هامة، ولكن على أساس مبدأ خاطئ من التسلل التدريجى لليهود وهو تسلل من شأنه أن ينتهى نهاية سيئة. إنه يستمر إلى اللحظة التى لا يمكن تجنبها، عندما يشعر السكان المحليون أنهم مهددون فيجبرون الحكومة على إيقاف أى تدفق جديد لليهود، وبالتالى فإن الهجرة لا جدوى منها ما لم تقم على أساس من هيمنة مضمونة.

إن جمعية اليهود سوف تتعامل مع الملاك الحاليين للأرض، وستضع نفسها تحت حماية القوى الأوربية، إذا أثبتوا أنهم متعاطفون مع الخطة. إننا نستطيع أن نقدم للملاك الحاليين للأرض ميزات هائلة، فنأخذ على عاتقنا جزءاً من الديون العامة، وننشئ طرقاً جديدة للمواصلات التى يستوجبها وجودنا فى هذا البلد، ونقوم بأعمال كثيرة أخرى. إن خلق دولتنا سيكون نافعاً لدول مجاورة، لأن زراعة شريط من الأرض يرفع قيمة المناطق المحيطة بطرق لا حصر لها.

فلسطين أم الأرجنتين؟

هل نختار فلسطين أم الأرجنتين؟ إننا سنأخذ ما يعطى لنا، وما يختاره الرأى العام اليهودى، وسوف تقرر الجمعية كلا الأمرين.

إن الأرجنتين من أكثر بلاد العالم خصوبة، وهى تمتد على مساحات شاسعة وفيها عدد قليل من السكان، ومناخها معتدل. وجمهورية الأرجنتين سوف تحصل على مكاسب كبيرة إذا تنازلت لنا عن قطعة من أراضيها. ولعل التسلل الحالى لليهود قد أثمر بعض الاستياء، ومن الضرورى أن نوضح للجمهورية أن الحركة الجديدة تختلف اختلافاً جوهرياً.

أما فلسطين فإنها وطننا التاريخى الذى لا تمحى ذكراه[2]، إن اسم فلسطين فى حد ذاته سيجتذب شعبنا بقوة ذات فعالية رائعة. فإذا منحنا جلالة السلطان فلسطين سنأخذ على عاتقنا بالمقابل تنظيم مالية تركيا. ومن هناك سوف نشكل جزءاً من استحكامات أوربا فى مواجهة آسيا كموقع أمامى للحضارة فى مواجهة البربرية. وعلينا ـ كدولة طبيعية ـ أن نبقى على اتصال بكل أوربا التى سيكون من واجبها أن تضمن وجودنا.

إن ملاذات العالم المسيحى يجب صيانتها بتحديد مكانة إقليمية إضافية لها مما هو معروف فى قانون الأمم. وعلينا أن نشكل حرس شرف حول هذه الملاذات بغرض تحقيق هذا الواجب فيما يختص بوجودنا. وسيكون حرس الشرف هذا هو الرمز العظيم لحل المشكلة اليهودية بعد ثمانية عشر قرناً من معاناة اليهود.

الحاجة، الوسيلة، التجارة

قلت فى الفصل قبل الأخير "إن الشركة اليهودية سوف تقوم بتنظيم المهن والتجارة فى الدولة الجديدة" وهنا أضيف بعض ملاحظات لهذه النقطة.

إن مشروعاً كمشروعى هذا عرضة لمخاطر مهلكة إذا عارضه أولئك الناس "العمليون"، وأوضح هنا أن الناس "العمليين" كقاعدة ليسوا أكثر من أولئك الناس الذين تحكم فيهم الروتين اليومى، فلا يستطيعون الخروج من الدائرة الضيقة للأفكار العتيقة. وفى نفس الوقت فإن آراءهم المناقضة ذات وزن كبير، ويمكن أن تسبب ضرراً بالغاً لمشروع

2 هناك دراسة علمية للمفكر العربى جمال حمدان انتهى فيها إلى أن يهود العالم اليوم مختلطون فى جملتهم اختلاطاً بَعُدَ بهم عن أية أصول إسرائيلية فلسطينية قديمة "...ومن هنا فلا جناح علينا إذا نحن قررنا فى النهاية أن اليهود اليوم ليسوا من بنى إسرائيل، وأن هؤلاء شئ وأولئك شئ آخر انثروبولجياً، وألا رابطة بين الطرفين إلى الدين والدين فقط". (جمال حمدان، اليهود انثروبولجيا (القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، 1967) ص90)

ناشئ، إلى أن يصبح هذا الشيء الجديد من القوة بحيث يقذف بالرجال "العمليين" وأفكارهم العفنة إلى الريح.

كان بعض الناس "العمليين" خلال الفترة البدائية لإنشاء سكك حديد أوربا ـ يعتقدون أنه من الغباء بناء خطوط بعينها "لأنه لا يوجد من المسافرين من يكفى لملء عربة بريد"، إنهم لم يفهموا الحقيقة ـ التى تبدوا لنا الآن واضحةً جليةً ـ وهى أن المسافرين لا ينتجون السكك الحديدية وإنما العكس من ذلك، السكك الحديدية هى التى تنتج المسافرين، آخذين فى الاعتبار الاحتياجات الكامنة بطبيعة الحال.

إن استحالة فهم كيفية إيجاد المهن والتجارة فى دولة ناشئة لم يتم الحصول عليها بعدُ أو زراعتها ـ يمكن تصنيفها مع تلك الشكوك التى ساورت الأشخاص "العمليين" فيما يتعلق بالحاجة إلى السكك الحديدية.

لعلهم يقولون "مع التسليم بأن الظروف الحالية لليهود فى كثير من المناطق لا تطاق، وأنها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ومع التسلي بوجود رغبة فى الهجرة، ومع التسليم حتى بأن اليهود يهاجرون بالفعل إلى الدولة الجديدة؛ فكيف سيكسبون عيشهم هناك، وماذا سيكسبون؟ وماذا سيعيشون عليه وهم هناك؟ إن أعمال أعداد كبيرة من الناس لا يمكن تنظيمها بطريقة صناعية بين يومٍ وليلة".

على هذه الاعتراضات أرد قائلاً: ليس لدينا أقل نية لتنظيم المهن تنظيماً صناعياً، وبالتأكيد لم نحاول ذلك فى يوم. ولكن على الرغم من أن تنظيمها قد يكون مستحيلاً فإن ترويجها ليس كذلك، وكيف يمكن تشجيع التجارة؟ بواسطة الحاجة.. الحاجة يمكن إدراكها، الوسيلة تُخلق، والتجارة تنشئ نفسها.

فإذا كان هناك حاجة حقيقية وملحة بين اليهود لتحسين مكانتهم، وإذا خُلِقَت الوسيلة ـ وهى الشركة اليهودية القوية بالقدر الكافى ـ فإن التجارة ستوجد نفسها بوفرة فى الدولة الجديدة.

هذا ـ بطبيعة الحال ـ افتراض مثلما كان تطوير السكك الحديدية افتراض فى الثلاثينيات[3]. ولقد أقيمت السكك الحديدية كلها، لأن أفكار الرجال استطاعت ـ لحسن الحظ ـ أن تحملها بعيداً عن شكوك الرجال "العمليين" وعربات بريدهم[4].

---

3 المقصود هنا ثلاثينيات القرن الـ 19.

4 لوحظ أن هذه الفقرة الأخيرة قد حذفت من الترجمات الأخرى اللاحقة.

الفصل الثالث
ـ الشركة اليهودية

خطوط رئيسية

لقد صممت الشركة اليهودية على أساس أن تكون إلى حد ما شركة كبرى للحصول على الأرض، ويمكن أن نطلق عليها "الشركة اليهودية القانونية". رغم أنها لا تستطيع أن تمارس سلطة سيادية. إن مهمتها مهمة استعمارية خالصة.

سوف تؤسس الشركة كشركة مساهمة خاضعة للقانون الإنجليزى وتحت حماية إنجلترا. وسيكون مركزها الرئيسى فى لندن. ولا أستطيع الآن أن أحدد مقدار رأس مال الشركة، فسوف أترك هذا التقدير لممولينا الكثيرين. ولكن لكى نتجنب الإبهام فسوف أضع قيمته فى إطار مبلغ ألف مليون مارك (أى حوالى خمسين مليون جنية إسترلينى أو 200 مليون دولار أمريكى)، ربما أكثر أو أقل من هذا المبلغ. إن شكل المساهمات التى سنوضحها فيما بعد، هى التى ستحدد أى قدر من هذا المبلغ الكلى ينبغى تحصيله دفعة واحدة.

إن الشركة اليهودية مؤسسة ذات صفة مرحلية، وهى مشروع تجارى كامل، ويجب التمييز باهتمام بينها وبين جمعية اليهود.

على الشركة اليهودية ـ بالدرجة الأولى ـ أن تعنى بتحقيق المصالح الخاصة التى سيخلفها اليهود الراحلون، وسوف تمنع الأساليب التى تتبعها حدوث الأزمات، وتحافظ على ممتلكات الناس، وتيسّر الهجرة الداخلية للمواطنين المسيحيين التى أشرت إليها من قبل.

السلع غير القابلة للنقل

إن السلع غير القابلة للنقل والتى نأخذها فى الاعتبار هى المبانى والأرض، والعلاقات التجارية المحلية. ولن تأخذ الشركة اليهودية ـ فى بادئ الأمر ـ على عاتقها أكثر من المفاوضات الضرورية لبيع هذه السلع. هذه المبيعات اليهودية سوف تتم فى بادئ الأمر بحرية وبدون أى هبوط شديد فى الأسعار. وسوف تصبح فروع الشركة اليهودية المنشأة فى مختلف المدن هى المراكز الرئيسية لبيع ممتلكات اليهود، وستتقاضى على ذلك عمولة نظير الإجراءات بما يحفظ لها استقرارها المالى.

والآن، فإن تطور هذه الحركة قد يؤدى إلى هبوط كبير فى أسعار الأملاك العقارية، وقد يستحيل فى آخر الأمر إيجاد سوق لها، عندئذ ستدخل الشركة فى فرع آخر من فروع نشاطها، فتتولى إدارة الممتلكات المهجورة إلى وقت تستطيع فيه أن تبيعها بأثمان معقولة. فتجمع إيجارات المنازل وتؤجر الأراضى. وتعين مديرين للأعمال، حيثما يتطلب الأمر إشرافاً، وحبذا أن يكونوا أيضاً من المستأجرين.

وسوف تسعى الشركة جاهدة فى كل مكان لتسهيل تمليك الراضى بواسطة مستأجريها الذين هم مسيحيين. وبالتأكيد سوف تحل تدريجياً محل موظفيها بدائل من المسيحيين كالمحامين وغيرهم. ولن يصبح هؤلاء خداماً لليهود بل المقصود بهم أن يكونوا "وكلاء"[1] أحرار للسكان المسيحيين، حتى يتم تنفيذ كل شئ على أساس من العدل والإنصاف والاعتدال، دون تعريض مصالح الشعب الداخلية للمخاطر.

وفى نفس الوقت ستقوم الشركة ببيع العقارات أو استبدالها، فالبيت الذى تأخذه سوف تقدم بدلاً منه فى الدولة الجديدة، وأرضاً بدل الأرض فى الدولة الجديدة. كل شئ سينقل إلى الأرض الجديدة ـ ما أمكن ذلك ـ بنفس حالته التى كان عليها فى الأرض القديمة. هذا النقل سوف يكون مصدراً للربح عظيماً ومسلماً به للشركة. و"هناك" ستكون البيوت الممنوحة على سبيل التبادل أحدث وأجمل، وستكون مجهزة تجهيزاً مريحاً، وستكون الضياع هناك أعلى قيمة من تلك الضياع المهجورة ولكنها ستكلف الشركة أقل نسبياً، لأن الشركة ستكون قد اشترت الأرض بأسعار رخيصة.

شراء الأراضى

إن الأرض التى ستستحوز عليها جمعية اليهود بالقانون الدولى لابد ـ بطبيعة الحال ـ أن يكون الحصول عليها بطريقة خاصة. أما الخطوات التى اتخذها بعض الأفراد بالنسبة لمستوطناتهم الخاصة فإنه لا يقع فى إطار هذه العملية العامة.

إن الشركة تحتاج إلى مساحات كبيرة من الأرض لاحتياجاتها الخاصة واحتياجاتنا، وهذه المساحات يجب حيازتها عن طريق الشراء المركزى. وسوف تتفاوض الشركة بصفة مبدئية لامتلاك السيطرة المالية، واضعة أما ناظرها الهدف الكبير وهو حيازة الأرض "هناك" دون أن تدفع ثمناً أعلى مما ينبغى، وبنفس الطريقة، أن تبيع "هنا" دون أن تقبل ثمنا أقل مما ينبغى. ولا ينبغى أن يُفْهَم من هذا أنن سنفرض أسعاراً للأراضى، لأن الشركة سوف تقوم بتقدير قيمة الأرض خلال تنظيمها الاستيطان بالتعاون مع جمعية اليهود، وسوف تعنى الأخيرة بألا يصبح المشروع على غرار "بنما" وإنما على غرار السويس[2].

سوف تبيع الشركة قطع الأرض للمبانى بأثمان رخيصة لموظفيها، وسوف تسمح لهم بسلف لبناء مساكنهم، ثم تقوم بخصم أقساطها من مرتباتهم، أو تضعها فى حساباتهم كمكافآت مالية. وسوف يشكل هذا نوعاً من التعويض عن خدماتهم، بالإضافة إلى الامتيازات الأخرى التى يتوقعونها.

إن الأرباح الهائلة الناتجة من المضاربة فى الأرض ستذهب إلى الشركة، التى من المفروض أن تستقبل هذه الأقساط اللانهائية مقابل تحملها لمخاطر المشروع. فعندما ينطوى مشروع ما على مخاطرة، فغن الفوائد يجب أن تمنح بسخاء لأولئك الذين تحملوا المخاطرة.

1 آثرنا كلمة "وكلاء" ترجمة للعبارة "controlling bodies" لأنها فى هذا السياق تؤدى المعنى الذى قصده المؤلف على الأرجح، ويعزز هذا أخر تنقيح للترجمة الإنجليزية نشرته شركة دوفر سنة 1988 بنيويورك فقد وردت بدلاً من هذه العبارة كلمة "agents".

2 لعله يقصد ملكية أسهم قناة السويس وإدارتها من قِبل هيئة أجنبية فى حماية الاحتلال الإنجليزى للأرض.

ولكن لن يسمح بالفوائد تحت أى اعتبار آخر. إن أخلاقيات المال تتألف من العلاقة المتبادلة بين الربح والمخاطرة.

المبانى

سوف تقوم الشركة بمقايضة البيوت والعقارات، ويجب أن يكون من الواضح لكل من يلاحظ ارتفاعاً فى قيمة الأرض من خلال زراعتها، أن الشركة ينبغى أن تكسب من أملاكها العقارية. ويمكن مشاهدة هذا على أحسن مثال فى حالة قطع الأراضى المبنية فى المدن والريف. فالمناطق التى لم تشيد بها مبان يرتفع ثمنها عالياً بسبب زراعة الأرض المحيطة بها. إن الرجال الذين قاموا بتوسيع باريس عملوا مضاربات ناجحة فى الأراضى كانت عبقرية فى بساطتها، فبدلاً من بناء مبانٍ جديدة ملاصقة مباشرة لآخر منازل المدينة، اشتروا قطعاً من الأرض المجاورة وأخذوا يبنون على أطراف هذه الأراضى. هذا الترتيب العكسى فى البناء رفع قيمة الأرض بسرعة غير عادية. وبعد أن انتهوا من بناء الحلقة الخارجية بدءوا يبنون وسط المدينة على قطع الأرض التى أصبحت ذات قيمةٍ عالية بدلاً من بناء المنازل على التوالى.

فهل ستقيم الشركة مبانيها بنفسها أم تفوض فى ذلك معماريين مستقلين؟ إنها تستطيع وستفعل الاثنين معاً. إنها ـ كما سنوضح فيما بعد ـ تملك احتياطياً هائلاً من قوة العمل لن تقوم الشركة بتسخيرها، ولكن ستحولها إلى ظروف معيشية أسعد وأبهج، وهى على أى حال لن تكون غالية. وعندما يختار علماء الجيولوجيا مواقع المدن سيكونون قد بحثوا فى توفير مواد البناء. فماذا سيكون عليه مبدأ البناء؟

مساكن العمال

إن مساكن العمال (التى تشمل مساكن جميع العمال) سوف تبنى بمخاطرة الشركة وعلى نفقتها. ولن تكون مثل تكنات العمال الكئيبة فى المدن الأوروبية، ولا تلك الصفوف التعيسة من الأكواخ المحيطة بالمصانع. إنها ـ بالتأكيد ـ ستبدو فى مظهر موحد، لأن الشركة ينبغى أن تبنى بتكاليف رخيصة حيثما توفرت مواد البناء على نطاق واسع، ولكن المنازل ستبنى منفصلة بعضها عن بعض مزودة بحدائق صغيرة، ولكنها سوف تتوحد فى مجموعات جذابة فى كل منطقة. إن التشكيل الطبيعى للأرض سوف يثير إبداع معماريينا الشباب الذين لم يطغ الروتين على أفكارهم بعد، وحتى لو أن الناس لم يدركوا الفحوى الكلى للخطة، فإنهم على أى حال سيشعرون بالارتياح فى مجموعات منازلهم غير المتلاصقة. وسوف يكون فى استطاعتهم رؤية المعبد من مسافات طويلة، فالمعبد هو عقيدتنا التليدة التى جمعتنا معاً.

وسيكون هناك مدارس للأطفال مضيئة جذابة وصحية، وستدار على أحدث النظم المعتمدة. وسيكون هناك مدارس للعمال تعلمهم المعارف التكنولوجية المتقدمة، وتجعلهم على دراية تامة بعمل الماكينات.

وسيكون هناك أماكن للتسلية، وسوف يكون المجتمع اليهودى مسئولاً عن إدارتها إدارة سليمة. على كل حال إننا حتى الآن لا نزال نتحدث عن المبانى فقط، ولم نتطرق إلى ما سيجرى فى هذه المبانى.

لقد ذكرت أن الشركة سوف تبنى مساكن العمال بتكلفة قليلة، وهذه ستكون رخيصة، لا لوفرة مواد البناء فقط، وليس لأن الشركة هى المالكة لأراضى البناء، ولكن أيضا لأن عمال البناء لن يُدفع لهم أجر.

إن الفلاحين الأمريكيين يعملون بنظام المساعدة المتبادلة فى بناء بيوتهم، وهذا النظام الودّى الطفولى ـ والذى هو غير ملائم مثل المبانى التى أقامها ـ يمكن تطويره على أسس أفضل.

العمال غير المهرة

ينبغى على عمالنا غير المهرة الذين سيأتون فى البداية من مصدرين كبيرين فى روسيا ورومانيا ـ بطبيعة الحال ـ أن يساعد بعضهم بعضاً فى بناء منازلهم. وسيكون عليهم فى بادئ الأمر أن يبنوا بالخشب، لأن الحديد لن يكون متوفراً فى هذه المرحلة المبكرة. هذه المبانى المؤقتة التى لا تفى بالغرض تماماً سوف يحل محلها فيما بعد مساكن أرقى.

إن عمالنا غير المهرة سوف يقومون أولاً بطريقة تعاونية ببناء هذه البيوت للإيواء، ثم تنتقل إليهم ملكيتها بصفة دائمة عن طريق عملهم، ليس مباشرة ولكن بعد سنوات ثلاث من السلوك الحسن. بذلك نضمن رجالاً نشطين وبارعين. هؤلاء الرجال سوف يتم تدريبهم عملياً للحياة خلال العمل سنواتٍ ثلاث تحت نظام جيد الانضباط.

ذكرت سابقاً أن الشركة لن تدفع أجوراً لهؤلاء العمال. فعلى أى شئ يقيمون أودهم؟

بصفة عامة أنا لست من أنصار نظام التعامل بالأشياء العينية "Truck System"[(3)]، ولكن لابد من تطبيقه فى حالة هؤلاء المستوطنين الأوائل. فستوفر لهم الشركة سبل العيش من وجوه عدة، بحيث أنها قد تأخذ على عاتقها إعالتهم. وعلى أى حال فإن نظام الدفع بالأشياء العينية يوف يطبق فقط خلال السنوات القليلة الأولى، وسف يفيد العمال بتجنيبهم استغلال صغار التجار وملاك الأراضى وغيرهم. وهكذا سوف تجعل الشركة منذ البداية أولئك الذين اضطرتهم الظروف القاسية "هنا" أن يكونوا باعة جائلين أو طوافين على المنازل ـ من المستحيل عليهم أن يعيدوا الحياة لمثل هذه المهن "هناك". وستمنع الشركة أيضاً من الهجرة مدمنى الخمر والعابثين.

إنه لن يكون هناك أجور تدفع مطلقاً خلال الفترة الأولى من الاستيطان، ولكن من المؤكد أنه سيكون هناك أجر للعمل الإضافى.

العمل اليومى سبع ساعات

سيكون النظام المتبع هو "سبع ساعات عمل فى اليوم". ولكن هذا لا يعنى أن قطع الأخشاب والحفر وقطع الصخور ومائة من الأعمال اليومية ستتم بالضرورة خلال الساعات السبع فقط. بالتأكيد لا.. إنما سيكون هناك أربع عشرة ساعة من العمل اليومى على أساس

3 truck system هو نظام قديم فى أوربا يتمثل فى دفع أجور العمال سلعاً أو مواد عينية بدلاً من النقود.

تقسيم العمل إلى ورديات كل وردية من ثلاث ساعات ونصف. وسيتم تنظيم هذا بأسلوب عسكرى. وسيكون هناك أوامر، وترقيات ومعاشات، وهذه سوف نشرحها فيما بعد.

إن الرجل صحيح البدن يستطيع أن يقوم بكثير من العمل المركز فى الساعات الثلاث والنصف، بعد فترة زمنية مساوية يخصصها العامل للراحة ولأسرته ولتعليمه الموجه، سوف يعود مرة أخرى للعمل نشيطاً. مثل هذا النظام من العمل يصنع المعجزات. وهكذا فإن نظام السبع ساعات عمل فى اليوم ينطوى فى حقيقة الأمر على أربعة عشر ساعة من العمل المشترك، ولكن لا أكثر من هذا.

إننى أعتقد أنه فى الإمكان إدخال نظام السبع ساعات عمل بنجاح. ومحاولات تطبيق هذا النظام فى بلجيكا وإنجلترا معروفة للجميع. وقد أعلن بعض رجال الاقتصاد السياسى التقدميين ممن درسوا هذا الموضوع أن خمس ساعات عمل فى اليوم تفى بالغرض تماماً. وعلى أى حال فإن جمعية اليهود والشركة اليهودية سوف تقومان بتجارب جديدة على نطاق واسع ستفيد الأمم الأخرى فى العالم. وإذا ثبت أن نظام السبع ساعات عمل فى اليوم نظام عملى فسوف يطبق فى دولتنا المستقبلية كنظام قانونى معتمد. فى غضون ذلك سوف تسمح الشركة دائماً لموظفيها بالعمل سبع ساعات فى اليوم، وسوف تكون قادرة على تنفيذ ذلك. وستكون السبع ساعات عمل دعوة لاستجلاب شعبنا من أنحاء المعمورة، ويجب أن يأتى الجميع مختارين، فأرضنا هى أرض الميعاد.

إن من سيعمل أكثر من سبع ساعات فى اليوم سيحصل على أجر إضافى. وإذا رأى أن جميع احتياجاته متوفرة وأن أفراد أسرته غير القادرين على العمل حاجاتهم ميسرة من خلال المؤسسات الخيرية المركزية التى انتقلت، فإنه يستطيع أن يوفر قليلاً من المال. إن عدم التبذير ـ الذى هو خاصية من خصوصيات شعبنا ـ ينبغى تشجيعه تشجيعاً كبيراً، لأنه بالدرجة الأولى سوف ييسر ارتفاع الأفراد درجات أعلى، ولأن المال المدخر ثانيا سوف يوفر احتياطياً مالياً ضخماً للقروض المستقبلية. وسوف يُسمح بالأجر الإضافى فقط على أساس شهادة طبية، ولا ينبغى أن يزيد عن ثلاث ساعات فى اليوم. إن رجالنا سوف يتدفقون على العمل فى وطننا الجديد، وسوف يرى العالم حينئذ أى شعبٍ كادحٍ نحن.

إننى لن أصف الطريقة التى سيتم بها نظام التعامل العينى، ولن أتعرض للتفاصيل التى لا تحصى لأى عملية خشية أن يختلط الأمر على القراء. إن النساء لن يسمح لهن بالقيام بأى عملٍ شاق ولا أن يعملوا وقتاً إضافياً.

سوف تتحرر النساء الحوامل من جميع الأعمال، وسوف يزودن بالأطعمة المغذية، فنحن نريد أن تكون أجيالنا القادمة قوية سواء من الرجال والنساء. وسوف نعلم الأطفال كما نريد منذ البداية، ولكننى لن أدخل فى تفصيل ذلك أيضاً.

إن كلامى عن مساكن العمال، وعن العمال غير المهرة وأسلوب حياتهم ليس من قبيل اليوتوبيا، كما أن بقية مشروعى ليست كذلك. فكل ما تحدثت عنه قد وُضِعَ بالفعل موضع التجربة، وإن كان على نطاق صغير جداً، ولكنه لم يلاحظ أو يفهم.

إن نظام "المساعدة بالعمل Assistance par le travail" كما عرفته وفهمته فى باريس كان ذا فائدة كبيرة فى معالجة المشكلة اليهودية.

التخفيف بالعمل

إن نظام "التخفيف بالعمل" المطبق حالياً فى باريس وفى مدن عديدة أخرى بفرنسا، كما فى إنجلترا وسويسرا وأمريكا، هو شئ صغير جداً ولكنه قابل لأكبر توسع.

فما هو مبدأ "التخفيف بالعمل"؟ إنه يتلخص فى توفير عمل سهل غير فنى للأشخاص المعوزين، مثل قطع الأشجار، أو تقطيع الخشب المستخدم فى إشعال الأفران فى منازل باريس. إنه نوع من عمل السجون قبل وقوع الجرائم، وهو يتم دون إساءة للسمعة. إنه وسيلة لمنع الرجال من ارتكاب الجرائم بسبب الحاجة، وذلك عن طريق توفير العمل لهم واختبار قابليتهم للقيام به. إنه لا ينبغى أن يُسمح للجوع بأن يدفع الرجال للانتحار، لأن هذا الانتحار هو أكبر عار للحضارة التى تسمح للرجال الأغنياء أن يقذفوا بقطع اللحم إلى كلابهم.

وهكذا فإن التخفيف بالعمل يوفر لكل إنسان عملاً. ولكن فى النظام عيب كبير، فليس هناك طلب كبير على الإنتاج الذى يحتاج لتوظيف عمال غير مهرة. ومن ثم فهناك خسارة لمن يوظفونهم. صحيح أن المؤسسة هى مؤسسة خيرية، ولذلك فهى مستعدة للخسارة، ولكن هنا يكون الإحسان، فهو يقع فى الفرق بين الأجر المدفوع وبين القيمة الحقيقية للعمل. فبدلاً من إعطاء الشحاذ درهمين، فإن المؤسسة تمده بالعمل الذى تخسر فيه درهمين ولكنها فى نفس الوقت تحول الشحاذ عديم القيمة إلى كاسب للرزق أمين.

قد يكون الشخص قد كسب مثلاً فرنكاً فرنسياً ونصف الفرنك، بينما هو يستحق على عمله عشرة سنتيمات! معنى هذا أن المتلقى للإحسان دون إهانة قد زاد مكسبه خمسة عشر مرة! بمعنى آخر قد تنفق المؤسسة خمسة عشر ألف مليون بدلاً من ألف مليون.

إن المؤسسة بالتأكيد ستخسر عشرة سنتيمات، ولكن الشركة اليهودية لن تخسر ألف مليون، وإنما ستحصل على أرباح طائلة من هذا الإنفاق. وهناك جانبٌ آخر أخلاقى، فالنظام الصغير للتخفيف بالعمل الموجود حالياً يحافظ على الاستقامة عن طريق الصناعة، حتى يحين الوقت الذى يجد فيه الرجل الخالى من العمل عملاً مناسباً لإمكاناته، إما فى حرفته القديمة أو فى حرفة جديدة. ويسمح للرجل بإجازة كل يوم لبضع ساعات لغرض البحث عن عمل، وتلك مهمة تساعده فيها المؤسسة.

إن العيب فى هذه التنظيمات الصغيرة حتى الآن، هو أنها حُرمت من الدخول فى المنافسات مع تجار الأخشاب وغيرهم.. فهؤلاء ناخبون وقد يعترضون، وقد يكونون على حق فى اعتراضهم، كما أنها مُنعت من منافسة سجون العمل التى تديرها الدولة، لأن على الدولة أن تشغل المجرمين وتطعيمهم.

فى الواقع لا يوجد فى المجتمعات القديمة إلا مكان صغير لتطبيق ناجح لنظام "التخفيف بالعمل". ولكن له مكان فى المجتمع الجديد. فعلاوة على كل شئ، نحتاج إلى أعداد كبيرة من العمال غير المهرة لإنجاز الأعمال المبدئية اللازمة للاستيطان، كشق الطرق، وزرع الأشجار، وتسوية الأرض، وإنشاء السكك الحديدية، وتركيب أعمدة التلغراف.. إلخ. كل ذل سيتم إنجازه طبقاً لخطة كبرى سبق إعدادها.

التجارة

إن العمل المنقول إلى هذا الوطن سيخلق بطبيعة الحال تجارة، وستوفر الأسواق الأولى ضرورات الحياة القصوى كالأبقار والحبوب وملابس العمل وأدواته والأسلحة.. ذلك على سبيل ذكر بعضها فقط. وسيكون علينا فى البداية أن نجلبها من الدول المجاورة أو من أوربا، ولكننا سنجعل أنفسنا مستقلين فى أسرع وقت ممكن، فسرعان ما سيدرك اليهود من أصحاب المشروعات أى الأعمال سيكون لها مستقبل فى الوطن الجديد.

إن جيش الشركة من الموظفين سيوفر تدريجياً الموظفين سيوفر تدريجياً احتياجات للحياة أكثر رفاهية. (هؤلاء الموظفون سيشتملون على ضباط جيش دفاعنا الذى سيشكل دائماً حوالى عُشر مستعمرينا من الرجال، وهو عدد كافٍ لقمع التمرد، لأن غالبية مستعمرينا سيكونون من الجانحين إلى السلام).

إن حاجات الرفاهية المقدمة من موظفينا الذين يشغلون المراكز الكبيرة سوف تخلق سوقاً أفضل من شأنه أن يستمر فى التحسّن. وسوف يبعث الرجل المتزوج فى طلب زوجته وأبنائه، وسوف يبعث الأعزب فى طلب أبويه والأقارب عندما يؤسس مسكنه "هناك". لقد فعل اليهود الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة نفس الشىء دائماً. فعندما يتوفر لأحدهم غذاء يومه وسقف فوق رأسه يبعث فى طلب أهله، لأن الروابط الأسرية فيما بيننا تكون قوية. وسوف تتضافر جهود كل من جمعية اليهود والشركة اليهودية لرعاية الأسرة وتقويتها أكثر مما كانت عليه، ليس فقط من الناحية الأدبية، ولكن من الناحية المادية أيضاً. وسوف يتلقى الموظفون علاوات مالية على الزواج وعلى الأطفال المولودين، فنحن نحتاج إلى كل من "هناك" وكل من سيأتون بعدهم.

أنواع أخرى من المساكن

لقد وصفت فيما سبق مساكن العمال التى سيقومون ببناءها بأنفسهم، ولم أتعرض بالذكر لأنواع أخرى من المساكن. وسأحاول فيما يلى الإشارة إليها. إن مهندسى الشركة المعماريين سيبنون للطبقات الأفقر من المواطنين أيضاً، سواء منهم الذين يتلقون أجورهم أشياءً عينية أو نقوداً. سينفذ المعماريون حوالى مائة نوع من طرز المنازل، وسيقومون بتكرارها بطبيعة الحال. هذه الطرز البديعة من المنازل سوف تكون جزءاً من دعايتنا. وسوف تضمن الشركة سلامة الإنشاءات لهذه المبانى، ولن تربح ـ فى الواقع ـ شيئاً ببيعها للمستوطنين بأسعار محددة. وأين ستقام هذه المنازل؟ سوف نوضح هذا فى الجزء الذى يعالج موضوع "المجموعات المحلية".

ولما كانت الشركة لا تسعى للكسب من أعمال البناء مكتفيةً بأرباحها من الأرض فقط، فإنها تود أن يقوم أكبر عدد من المعماريين بالبناءِ عن طريق العقود الخاصة. هذا النظام من شأنه أن يزيد من قيمة العقارات، ويوفر الرفاهية التى ستخدم عدداً من الأهداف. فالرفاهية تشجع الفنون والصناعات، وتمهد الطريق فى المستقبل لتقسيم الملكيات الكبيرة. فأغنياء اليهود الذين يُضطرون الآن إلى إخفاء أشياءهم الثمينة بحرص، ويقيمون ولائمهم الكئيبة خلف ستائر مسدلة، سوف يستطيعون أن ينعموا بممتلكاتهم فى سلام "هناك". فإذا تعاونوا

فى تنفيذ مشروع الهجرة هذا، فإن رأس المال سيجدد نشاطه "هناك"[4] وسوف يساعد على إقامة مشروعات لا مثيل لها.

فإذا بدأ أغنياء اليهود فى إعادة بناء قصورهم فى المستوطنات الجديدة، تلك القصور التى يُنْظَرُ إليها فى أوربا بعيون حاسدة، سرعان ما يصبح من السائد أن تكون الحياة "هناك" فى منازل عصرية جميلة.

بعض أشكال من التصفية

إن الشركة اليهودية معنية بتلقى وإدارة السلع اليهودية غير القابلة للنقل، ومن اليسير أن نتخيل طرق إجراءاتها فيما يتعلق بالبيوت والأراضى، ولكن أى أساليب ستتبناها الشركة فى نقل الأعمال التجارية؟ هنا نجد عدداً لا يُحصى من الإجراءات العملية التى لا نستطيع الإفاضة فيها فى هذا الموجز. ولكن لا شئ منها يمثل صعوبة كبيرة. ففى كل حالة إذا اختار صاحب العمل قرار الهجرة فما عليه إلا أن يتفق مع موظفى الشركة فى منطقته على أصلح شكل للتصفية.

تنظيم هذا ممكن بأيسر السبل فى حالة صغار أصحاب الأعمال، حيث يكون النشاط الشخصى فى مهنهم أكثر أهمية بينما السلع والتنظيم فى منزلة تالية من الاعتبار. هنا سوف توفر الشركة مجالاً معيناً للنشاط الشخصى للمهاجر، وستعوضه بدلاً من سلعه بقطعة من الأرض مع سلفة من الآلات. واليهود معروف عنهم أنهم يتكيفون بسهولة ملحوظة مع أى صورة من صور كسب العيش، ولسوف يتعلمون سريعاً أن يقوموا بصنعة جديدة. وبهذه الطريقة يتحول عدد من صغار التجار إلى صغار الملاك. وفى الواقع ستكون الشركة مستعدة لتحمل ما يبدو أنه خسارة، بتسلمها الممتلكات غير القابلة للنقل من أفقر المهاجرين، لأن ذلك سيؤدى إلى الزراعة الحرة لمناطق فسيحة من الأرض، وهذا من شأنه أن يرفع قيمة المناطق المجاورة.

أما فى الأعمال متوسطة الحجم حيث تكون السلع والتنظيم يعادلان أو حتى يزيدان فى الأهمية عن النشاط الشخصى للمدير، الذى علاقاته الأكبر أيضاً غير قابلة للنقل، فهناك صور مختلفة من التصفية ممكنة.

هنا تأتى فرصة الهجرة الداخلية للمواطنين المسيحيين إلى المواقع التى أخلاها اليهود. أما اليهودى الراحل فلن يفقد خبرته فى العمل، بل سيحملها معه، وسوف يستفيد بها فى الوطن الجديد لبناء نفسه.

وسوف تفتح الشركة اليهودية له حساباً جارياً فى البنك، كما يستطيع أن يبيع خلوّ طرفه من عمله، أو يسلم العمل للمديرين تحت إشراف موظفى الشركة. وقد يستأجر المديرون العمل، أو يشترونه ويدفعون ثمنه بالتقسيط. ولكن الشركة ستقوم كوكيل مؤقت للمهاجرين بالإشراف ـ بواسطة موظفيها ومحاميها ـ على إدارة شئونهم، والعناية بجمع مستحقاتهم المالية.

---

4 حيثما ترد كلمة "هناك" بهذا الشكل بين علامتى تنصيص فإنها تشير إلى الوطن المرتقب.

فإذا تعذر على يهودى أن يبيع أعماله، ولم يرغب فى أن يأتمن وكيلاً عنه، ولم يرغب فى تسليم إدارتها، فما عليه إلا أن يبقى حيث هو. إن اليهود الذين سيبقون لن يكونوا أسوأ حالاً، لأنهم سيتخلصون من منافسة الذين هاجروا، ولن يسمعوا بعد ذلك صيحة العداء للسامية "لا تشترى من اليهود! ". وإذا رغب صاحب العمل المهاجر فى الاستمرار فى مهنته القديمة فى الوطن الجديد فإنه يستطيع أن يرتب هذا منذ البداية. وهناك نموذج يمثل ما أعنى فضل تمثيل.

فمثلاً شركة "×" تقوم بأعمال كبرى فى النسيج، وأراد رئيس الشركة أن يهاجر، فإنه يبدأ بإنشاء فرع لشركته فى مقر إقامته المستقبلى، ويبعث بعينات من بضائعه إلى هناك. سيكون الفقراء من أوائل المستوطنين هم أول زبائنه، وسيتلو هؤلاء مهاجرون من طبقات أعلى ممن يطلبون سلعاً أرقى. حينئذ يبعث "×" بسلع جديدة.. وهكذا حتى يأتى وقت يبعث فيه بأحدث بضائعه. وسيبدأ فرع الشركة فى تحقيق مكاسب، فيبيع الشركة الأصلية أو يسلمها إلى وكيل مسيحى يديرها، ويرحل هو ليتولى مسئولية الشركة الجديدة.

وهناك نموذج آخر أكبر:

"سين وابنه" تجار فحم كبار، عندهم مناجمهم ومصانعهم، فكيف يمكن تصفية مثل هذه الممتلكات الضخمة المعقدة؟

المناجم ومتعلقاتها جميعاً يمكن أن تشتريها الدولة فى أى بلد وُجدت. وقد تتسلمها الشركة اليهودية وتدفع بعض ثمنها أرضاً وبعضه الآخر مالاً. وهناك طريقة ثالثة ممكنة وهى تحويل شركة "سين وابنه" إلى شركة محدودة. وطريقة رابعة تتمثل فى استمرار العمل فى الشركة تحت إشراف الملاك الأصليين الذين يستطيعون أن يعودوا من وقت لآخر للتفتيش على ممتلكاتهم كأجانب تحت حماية القانون، كما يحدث فى أى دولة متحضرة. هذه المقترحات كلها يتم تنفيذها كل يوم. وهناك طريقة خامسة ممتازة، وهى قد تكون مربحة بصفة خاصة. ولأن الحالات الموجودة منها قليلة وغير مؤثرة فسوف أشير إلى حقيقة ما إذا كان الضمير الإنسانى الحديث مهيئاً لتبنيها. فيمكن أن يبيع "سين وابنه" مشروعه إلى هيئة مشتركة من موظفيها، الذين يمكنهم أن يؤسسوا جمعية تعاونية ذات مسئولية محدودة، وقد يستطيعون توفير المبلغ اللازم بمساعدة وزارة المالية التى لن تكلفهم فوائد عالية. ومن ثم يدفع الموظفون بالتقسيط القرض الذى قد يكون مقدماً من الحكومة أو من الشركة اليهودية أو حتى من شركة "سين وابنه".

ستكون الشركة اليهودية مستعدة لتنظيم نقل الأعمال الصغيرة والكبيرة على السواء. وبينما يهاجر اليهود بهدوء ويؤسسون بيوتهم الجديدة، تقوم الشركة بدور الهيئة الكبرى المنظِمة، التى تنظم الرحيل، وتأخذ على عاتقها مسئولية الممتلكات المتروكة، وتضمن التصرف السليم للحركة وممتلكاتها المنظورة والحقيقية، وتوفر الطمأنينة الدائمة لهؤلاء الذين استقروا بالفعل فى الوطن الجديد.

ضمانات الشركة

ما هى الضمانات التى ستوفرها الشركة بحيث لا تتسبب الهجرة من هذه الدولة فى إفقارها أو يترتب عليها كوارث اقتصادية؟ لقد ذكرت فيما سبق أن أعداء السامية المخلصين

بينما يحافظون على استقلالهم، سيقومون بالتعاون مع موظفينا فى إدارة نقل ممتلكاتنا. ولكن عوائد الدولة قد تعانى من خسائر بسبب رحيل العدد الكبير من دافعى الضرائب، الذين لم يقدرهم أحد كمواطنين إلا قليلا، إلا أنهم فى أعلى درجات التقدير من حيث التمويل.

إن الدولة من أجل ذلك، يجب أن تحصل على تعويض عن هذه الخسارة، وسوف نقدم هذا بطريقة غير مباشرة، حيث أننا تركنا فى الدولة مشروعات أقمناها نحن بوسائل البراعة اليهودية والنشاط الصناعى اليهودى، كما أننا سنترك إخواننا من المواطنين المسيحيين ينتقلون إلى مراكزنا الخالية، وبهذا نكون قد يسرنا على أعداد كبيرة من الناس أن يرتقوا درجات أكبر من الازدهار بطريقة سلمية لا مثيل لها.

لقد حققت الثورة الفرنسية نتائج مماثلة شيئا ما، على نطاق أضيق، ولكن هذه النتائج جاءت عن طريق حمامات الدم تحت المقصلة فى كل مقاطعة من فرنسا، وفى ميادين الحرب فى أوربا. وعلاوة على ذلك فقد دمرت الحقوق الموروثة منها والمكتسبة، ولم يتمتع بالثراء سوى أولئك الدهاة الذين اشتروا ممتلكات الدولة. سوف تقدم الشركة اليهودية إلى الحكومات ـ التى تأتى فى مجال نشاطها ـ منافع مباشرة وغير مباشرة. فسوف تعطى الحكومات ـ كأول عطاء ـ ممتلكات اليهود المهجورة، وستتيح للمشترين أفضل الشروط، وسوف تكون الحكومات قادرة على الاستفادة من التخصيص الودى للأرض للقيام بإصلاحات اجتماعية معينة. وستعطى الشركة الحكومات والبرلمانات كل مساعدة لتوجيه الهجرة الداخلية للمواطنين المسيحيين.

وسوف تدفع الشركة اليهودية أيضاً ضرائب جمركية ثقيلة، وسوف يكون مركزها الرئيسى فى لندن حتى تكون فى حماية قانونية لقوة ليست فى الوقت الراهن معادية للسامية. ولكن إذا دُعمت الشركة من الجهات الرسمية وشبه الرسمية فستوفر فى كل مكان قاعدة عريضة من الضرائب. ولهذا الغرض ستنشئ مكاتب فرعية للضرائب فى كل مكان. أكثر من ذلك، ستدفع ضرائب جمركية مرتين على النقل المزدوج للسلع التى تنقلها. وحتى فى الإجراءات التى لا تمثل الشركة فيها أكثر من وكالة للأرض العقارية، فسوف تبدو بصفة مؤقتة كمشترٍ، وسوف توضع فى السجل العقارى كمالك مؤقت.

هذه بطبيعة الحال أمور يمكن حسابها. وفى كل مكان يجب التدبر واتخاذ القرار فى المدى الذى يمكن للشركة أن تذهب إليه، دون المخاطرة بالإخفاق.

وسوف تقوم الشركة بنفسها بالتفاوض الحر مع وزراء المالية فى النقاط المختلفة للقضايا المعروضة. وسوف يشهد الوزراء الروح الودية لمشروعنا، وسوف يقدمون بالتالى جميع التسهيلات التى فى سلطاتهم، مما هو ضرورى للإنجاز الناجح لهذا المشروع الكبير.

وهناك منافع أخرى مباشرة ستعود على الحكومات من جراء نقل المسافرين والبضائع، فحيثما تكون السكك الحديدية مملوكة للحكومة فإن العوائد سيظهر أثرها المباشر، وحيثما تكون مملوكة لشركات خاصة، فإن الشركة اليهودية ستحظى بشروط أفضل للنقل، كما يفعل أى ناقل للبضائع على نطاق كبير. إن أجور الشحن والنقل يجب أن تكون رخيصة بقدر الاستطاعة لشعبنا، لأن كل مسافر سوف يدفع بنفسه تكاليف سفره. وسوف يسافر أبناء الطبقات الوسطى بتذاكر شركة "كوك"، ويسافر أبناء الطبقة الفقيرة فى قطارات المهاجرين، وقد تستطيع الشركة أن تحصل لهم على تخفيضات مرموقة، سواء

على المسافرين أو البضائع. ولكن هنا، كما فى كل الأمور الأخرى، يجب أن تلتزم الشركة بمبدئها فى ألا تحاول زيادة إيراداتها بمبالغ أكبر من التكلفة التى تغطى نفقات عملها.

فى أماكن كثيرة يسيطر اليهود على وسائل النقل، وسوف تكون أعمال النقل أول ما تحتاج إليه الشركة وأول ما ستقوم بتصفيته. وعلى الملاك الأصليين أن يسهموا فى خدمة الشركة، أو يؤسسوا أنفسهم "هناك" مستقلين.

وسوف يحتاج الوافدون حديثاً إلى مساعدتهم بالتأكيد. لأن مهنتهم مربحة، فلعلهم بل عليهم بالتأكيد أن يمارسوا مهنتهم هناك لكسب عيشهم. إن أعداداً من هذه الشخصيات المقدامة سوف ترحل. وليس من الضرورى أن نصف كل تفاصيل الأعمال لهذه الحملة العملاقة، فإنها يجب أن تستنبط بحكمة ن الخطة الأصلية، بواسطة عدد كبير من الرجال المقتدرين، الذين ينبغى أن يحكّموا عقولهم للحصول على أفضل نظام.

بعض أنشطة الشركة

كثير من الأنشطة ستكون مترابطة، على سبيل المثال: سوف تُدخل الشركة بالتدريج منتجى السلع إلى المستوطنات، والتى ستكون فى بادئ الأمر على أقصى درجة من البدائية. فالملابس والأحذية سوف تكون أول ما يصنع من أجل مهاجرينا الفقراء، الذين سنوفر لهم أزياء جديدة فى مختلف مراكز الهجرة الأوربية، ولن يأخذوا هذه الأزياء كصدقة مما قد يؤذى مشاعرهم، ولكن كبدل لملابسهم القديمة. وأى خسارة تتحملها الشركة بسبب هذا الإجراء فسوف تُقيد كخسارة عمل. أما أولئك المعدمون بصفة مطلقة، فسوف يدفعون ديونهم للشركة من خلال عملهم وقتاً إضافياً يتلقون عنه أجراً مجزياً.

وسوف تكون جمعيات التهجير القائمة قادرة على تقديم مساعدات "هنا" لأنهم سيقدمون لمستعمرى الشركة ما قدموه من قبل لليهود الراحلين، أما صور هذا التعاون فمن السهل إيجادها.

حتى الملابس الجديدة للمستوطنين الفقراء سيكون لها معنى رمزيا: "إنك تدخل الآن حياة جديدة". وسوف تعنى جمعية اليهود ـ قبل الرحيل بمدة طويلة وخلال الرحلة ـ بخلق روح جادة وحافلة بالبهجة، بواسطة الصلاة، والمحاضرات العامة، وتعليمات بخصوص هدف الحملة، وتوجيهات تتعلق بالأمور الصحية فى الأماكن الجديدة التى سيعيشون فيها وإرشادات متعلقة بأعمالهم المستقبلية، لأن "أرض الميعاد" هى أرض العمل. وعند وصول المهاجرين سيرحب بهم ـ بواسطة كبار موظفينا ـ بالاحترام الواجب، ولكن بدون تهليل مضحك، فإن أرض الميعاد لن تكون قد خضعت بعد، إلا أن هؤلاء الفقراء يجب أن يشعروا أنهم فى وطنهم.

إن صناعة الشركة للملابس ـ بطبيعة الحال ـ لن تنتج سلعاً بدون تنظيم سليم. فسوف تحصل جمعية اليهود من فروعها المحلية على معلومات عن عدد واحتياجات وتاريخ وصول المستوطنين. وسوف تبلّغ هذه المعلومات فى وقت مبكر إلى الشركة اليهودية، وبهذه الطريقة سيكون فى الإمكان توفير جميع التدابير الوقائية لهم.

إنشاء الصناعات

لا ينبغى فى هذا الموجز أن تظل واجبات الشركة اليهودية وجمعية اليهود منفصلة بعضها عن بعض. فإن هاتين المؤسستين الكبيرتين ينبغى أن يعملا فى توافق دائم. فالشركة تعتمد على السلطة المعنوية للجمعية ودعمها، وبالمثل لا تستطيع الجمعية الاستغناء عن المساعدات المادية للشركة، فمثلاً.. فى تنظيم صناعات الملابس سوف تكون الكميات المنتجة محدودة فى البداية للمحافظة على التوازن بين العرض والطلب، وحيثما تقوم الشركة بتنظيم صناعات جديدة يجب ممارسة هذا الاحتياط.

أما المشروعات الفردية فلا يجب أن تقف الشركة فى طريقها بقوتها الساحقة. إننا سنعمل مجتمعين حيثما تتطلب الصعوبات الكبرى للمهمة عملاً مشتركاً، ولسوف نحترم بدقة ـ حيثما أمكن ـ حقوق الأفراد. إن الملكية الخاصة ـ التى هى الأساس الاقتصادى للاستقلال ـ سوف تنمو بحرية وسوف نحترمها. وسوف تكون الفرص متاحة فوراً لعمالنا الأوائل غير المهرة أن يجتهدوا فى الصعود إلى الملكية الخاصة.

علينا بحق أن نشجع روح المشروعات بكل وسيلة ممكنة. إن تنظيم الصناعات يجب أن يتم بنظام حكيم من الواجبات، باستخدام مواد خام رخيصة، وإنشاء مؤسسة لها مجلس لجمع الإحصاءات الصناعية ونشرها.

ولكن روح المشروعات يجب تشجيعها بحكمة، ويجب أن نتجنب المضاربات الخطيرة. فكل صناعة جديدة يجب الإعلان عنها قبل فترة طويلة من إنشائها، حتى يتجنب الإخفاق أولئك الذين قد يبدءون عملاً مشابهاً بعد ستة أشهر.

وحيثما يتم إنشاء مؤسسة صناعية يجب إخطار الشركة، حتى يستطيع جميع المعنيين أن يحصلوا على معلومات عنها. ويستطيع رجال الصناعة أن يستفيدوا من وكالات العمل المركزية التى ستحصل نظير ذلك على أجر يكفى فقط لتأمين استمرارها. فعلى سبيل المثال، قد يبعث رجل الصناعة تلغرافيا يطلب خمسمائة عامل غير ماهر لمدة ثلاثة أيام أو ثلاثة أسابيع أو ثلاثة أشهر، عندئذ تقوم وكالة العمل بجمع هؤلاء العمال الخمسمائة من كل مصدر ممكن، وتنقلهم على الفور لتنفيذ المشروع الصناعى أو الزراعى المطلوب. وهكذا يتم نقل مجموعات من العمال بنظام من مكان إلى مكان آخر كمجموعة من الجنود. هؤلاء الناس لا ينبغى ـ بطبيعة الحال ـ إجهادهم، وإنما سيعملون فقط سبع ساعات فى اليوم. هؤلاء العمال رغم تغيير مكانهم سوف يحافظون على تنظيمهم، ويعملون فى حدود شروط العمل، ويتلقون الأوامر ويحصلون الترقيات والمعاشات.

قد تستطيع بعض المؤسسات ـ بطبيعة الحال ـ الحصول على عمالها من مصادر أخرى إذا رغبت فى ذلك، لكنها لن تجد ذلك ميسورا، وستكون الجمعية قادرة على منع استخدام عبيد العمل من غير اليهود، وذلك عن طريق مقاطعة أصحاب العمل المعاندين، من خلال قطع المواصلات عنهم، وبوسائل أخرى مختلفة، ولذلك فإن عمال نظام الساعات السبع هم الذين ينبغى استخدامهم، وبهذا يتعود شعبنا بالتدريج ـ وبدون قهر ـ أن يتبنى اليوم المعتاد للعمل "سبع ساعات".

مستوطنات العمال المهرة

من الواضح أن ما أمكن عمله للعمال غير المهرة يمكن عمله بسهولة أكثر للعمال المهرة، فهؤلاء سيعملون فى المصانع وفق تنظيمات مشابهة، وسوف تقوم وكالة العمل المركزية بتوفيرهم حسب الطلب. أما العمال المستقلون وأصحاب الأعمال الصغار ـ فنظراً للتطور السريع فى الإنجازات العلمية ـ فينبغى أن يحصلوا على المعلومات التكنولوجية، حتى وإن كانوا قد تجاوزوا سن الشباب، وأن يدرسوا القوى المائية، ويتفهموا القوى الكهربية.

إن العمال المستقلين أيضاً ينبغى أن يتم اكتشافهم وتوفيرهم من خلال وكالة الجمعية. فيطلب الفرع المحلى مثلا من المركز الرئيسى: "نحن نحتاج إلى عدد كذا من النجارين أو صناع الأقفال أو الزجّاجين.. " وسوف ينشر المكتب المركزى هذا الطلب، ومن ثم يتقدم الرجال الملائمون للعمل. هؤلاء سوف يرحلون مع عائلاتهم إلى المكان الذى طُلِبوا فيه، وسوف يبقون هناك بعيداً عن الشعور بضغوط المنافسة غير الملائمة. وهناك سيزودون بمسكن مريح.

أساليب الحصول على رأس المال

إن راس المال المطلوب لإنشاء الشركة كان قد تم تقديره فيما سبق برقم كبير يبدو غير معقول. أما القدر الضرورى فى الواقع فسيحدده الممولون، وسوف يكون مبلغاً كبيراً جداً.

وهناك ثلاثة أساليب للحصول على هذا المبلغ ستأخذها الجمعية جميعاً فى الاعتبار.

إن الجمعية وهى المدير [5] الأعظم لليهود سوف تتألف من أفضل رجالنا وأكثرهم استقامة، وهؤلاء لا ينبغى لهم أن يحصلوا على أى منفعة مادية من عضويتهم للجمعية. وعلى الرغم من أن الجمعية فى مستهل حياتها لن تملك أكثر من سلطات معنوية، فإن هذه السلطات كافية لخلق الثقة فى الشركة اليهودية فى عيون الأمة.

إن الشركة اليهودية لن تكون قادرة على النجاح فى مشروعها ما لم تحصل على موافقة الجمعية، ومن ثم فلن تتكون الشركة من أى مجموعة جزافية من الممولين. بل ستدقق الجمعية فى وزنها واختيارها وقرارها، ولن تمنح موافقتها حتى تتأكد من توفر ضمانات كافية للقيام بالمشروع على أحسن وجه. إنها لن تسمح بالتجارب بوسائل غير كافية، لأن هذا المشروع لابد له أن ينجح من أول محاولة. فأى فشل فى البداية سيضع الفكرة كلها موضع شك لأجيال قادمة، وقد يجعل تحقيقها أمراً مستحيلاً إلى الأبد.

أما الطرق الثلاثة للحصول على رأس المال فهى:

ـ من خلال البنوك الكبرى.

---

5 "المدير" ترجمة لكلمة "gestor" اللاتينية، وهى تحمل معنى المدير أو الكفيل أو هما معاً.

ـ من خلال البنوك الصغيرة والبنوك الخاصة.

ـ من خلال الاكتتاب العام.

الطريقة الأولى للحصول على رأس المال هى من خلال البنوك الكبيرة. بهذه الطريقة سيمكن الحصول على المبلغ المطلوب فى أقصر وقت ممكن من المجموعات المالية الكبرى، يعد أن يكونوا قد ناقشوا صلاحية المشروع. وأكبر ميزة لهذه الطريقة هى أنها ستتجنب ضرورة دفع الألف مليون (إذا التزمنا بالرقم الأصلى) بأكمله فوراً. وهناك ميزة أخرى محتملة حيث أن الثقة فى هؤلاء الممولين الأقوياء قد تخدم المشروع.

هناك قدر كبير من قوتنا السياسية الكامنة فى قوتنا المالية، ويؤكد أعداؤنا أنها قوة ذات فاعلية. لعلها تكون كذلك، ولكنها فى الواقع ليست كذلك.

إن اليهود الفقراء لا يشعرون بغير الكراهية التى تثيرها هذه القوة المالية، ذلك أنهم لم يروا بعد أنها تستخدم فى رفع شأنهم. إن ثقل ممولينا الكبار من اليهود يجب أن يوضع فى خدمة الفكرة القومية.

ولكن ليت هؤلاء الرجال الأثرياء ـ الذين هم راضون تماما بنصيبهم ـ يشعرون بميل لأن يفعلوا شيئا لإخوانهم اليهود، أولئك الذين يعتبرهم الناس ظلماً أنهم مسئولون عن تلك الممتلكات الهائلة التى يستحوز عليها فئة معينة من الأفراد. إن تحقيق هذه الخطة سوف يتيح الفرصة لوضع خط واضح للتمييز بين هذه الفئة وبين بقية اليهود.

وفوق هذا فلن يُطلب من كبار الممولين ـ بالتأكيد ـ أن يوفروا مبلغاً ضخماً كهذا بدافع من الإحسان المجرد، إن هذا أكثر مما ينبغى توقعه. فإن مؤسسى الشركة اليهودية وحملة الأسهم فيها على عكس ذلك يسعون إلى إقامة عمل تجارى جيد. وسوف يكونون قادرين على التنبؤ بفرص النجاح المحتملة. وسوف يكون فى حوزة جمعية اليهود جميع الوثائق والمراجع التى يمكن أن تخدم فى تحديد احتمالات المستقبل بالنسبة للشركة اليهودية. إن الجمعية ـ بصفة خاصة ـ سوف تكون قد بحثت بدقة مدى الحركة اليهودية الجديدة، حتى توفر لمؤسسى الشركة معلومات يعتمد عليها تماماً، بالنسبة للقدر من الدعم الذى يمكن أن يتوقعوه.

وسوف تمد الجمعية ـ أيضا ـ الشركة اليهودية بإحصاءات حديثة شاملة، وبهذا تكون قد قامت بالعمل الذى قامت به فى فرنسا جمعية يطلق عليها اسم "جمعية الدراسات Socite d'etudes" التى تأخذ على عاتقها جميع البحوث الأولية قبل تمويل المشروعات الكبرى. ومع ذلك فإن المشروع قد لا يحظى بالمساعدة القيمة من أثريائنا أرباب الصناعة والتجارة، بل لعلهم يحاولون معارضة الحركة اليهودية بواسطة خدامهم ووكلائهم السريين. هذه المعارضة كأى معارضة أخرى قد تفرض علينا، وسوف نواجهها بتصميم لا يلين. ولنفرض أن أرباب المال هؤلاء قد اكتفوا بالابتسامة رافضين المشروع ببساطة. فهل معنى هذا أن الموضوع قد انتهى؟ لا.

لأن المال قد يمكن الحصول عليه بطريقة أخرى.. بمناشدة اليهود متوسطى الغنى، حيث يتحتم على البنوك اليهودية الصغيرة الاتحاد باسم الفكرة القومية ضد البنوك الكبرى، وبذلك تشكل البنوك الصغيرة قوة مالية هائلة ثانية. ولكن مما يؤسف له أن هذا قد يحتاج

إلى قدر كبير من التمويل فى بادئ الأمر حيث يتحتم الإسهام بمبلغ 50 مليون جنيه كلها قبل بدء العمل. غير أن مثل هذا المبلغ لا يمكن الحصول عليه إلا ببطء شديد، حيث تتم جميع الأعمال البنكية والقروض خلال السنوات الأولى القليلة، وقد يحدث أثناء كل هذه الإجراءات أن يُنسى هدفها الأصلى، ويكون اليهود متوسطو الغنى قد خلقوا مشروعات جديدة وضخمة، وتكون الهجرة اليهودية قد غاصت فى عالم النسيان.

إن الحصول على المال بهذه الطريقة ليس غير عملى بأى حال من الأحوال، فإن تجربة جمع المال المسيحى لتشكيل قوة فى مواجهة البنوك الكبرى قد تمت محاولتها بالفعل. وكذلك يمكن أيضا مواجهتها بأموال يهودية لم يفكر فيها أحد حتى اليوم.

لكن هذه الصراعات يمكن أن تجلب جميع أنواع الأزمات، ومن ثم تعانى الدول التى تحدث فيها، وبذا يتفاقم العداء للسامية. لذلك لا أنصح بهذه الطريقة، وإنما تعرضت لها فقط لأنها جاءت فى سياق التطور المنطقى للفكرة. إننى أيضا لا أدرى ما إذا كانت البنوك الصغيرة الخاصة تقبل أن تتبناها فى المستقبل. وعلى أى حال فإن رفض اليهود متوسطى الغنى لن يضع نهاية للمشروع، بل على العكس سيجعلنا نأخذ المشروع حينذاك بجدية حقيقية.

إن جمعية اليهود ـ التى ليس من أعضائها رجال أعمال ـ قد تحاول أن تؤسس الشركة على اكتتاب قومى. فيمكن الحصول على رأس مال الشركة دون وساطة من "اتحاد الممولين"، وذلك بواسطة الاكتتاب من جانب الجماهير، ليس فقط فقراء اليهود، ولكن المسيحيين أيضا الذين يريدون أن يتخلصوا من اليهود سوف يكتتبون بمبالغ صغيرة فى هذا الرصيد. وقد نقوم بعمل شكل جديد ومميز من أشكال الاستفتاء العام يعبر فيه عن فكرته كل من أعطى صوته بالموافقة على هذا الحل للمشكلة اليهودية، بالاكتتاب بمبلغ مشروط. هذا الاشتراط سوف يولد ضمانا ما، بمقتضاه يُدفع رصيد الاكتتاب فقط فى حالة وصول مجموعه إلى المبلغ المطلوب، وإلا تُرد المدفوعات الأولية إلى أصحابها. ولكن إذا كان جميع المبلغ المطلوب قد حُصِّلَ عن طريق الاكتتاب الجماهيرى، فإن كل مبلغ صغير سيكون مؤمّناً عليه بواسطة العدد الكبير من المبالغ الصغيرة الأخرى. كل هذا بطبيعة الحال يحتاج إلى المساعدة السريعة الحاسمة من الحكومات المعنية.

الفصل الرابع
ـ المجموعات المحلية

هجرتنا

لقد بينت فى الفصول السابقة كيف يمكن تنفيذ مشروع الهجرة دون إحداث خلل اقتصادى، إلا أن حركة كبرى كهذه لا يمكن أن تتم دون أن تثير كثيراً من المشاعر العميقة والقوية التى لا سبيل إلى تجنبها. فهناك تقاليد وذكريات قديمة قد تربطنا بأوطاننا، ولدينا المهود كما لدينا القبور. ونحن وحدنا نستطيع أن نفهم إلى أى مدى تتعلق قلوب اليهود بقبورهم.

أما بالنسبة لمهودنا فسنأخذها معنا، إنها تحمل مستقبلنا، وهو مستقبل وردى باسم. أما قبورنا العزيزة فلابد أن نتخلى عنها، "وفى اعتقادى أن هذا التخلى سوف يكلفنا ـ نحن الشعب التواق إلى التملك ـ أكثر من أى تضحية أخرى. ولكن لا مفر من هذا"[(1)].

إن العسر الاقتصادى والضغوط السياسية والعار الاجتماعى كل ذلك قد دفعنا بعيداً عن أوطاننا وقبورنا. نحن اليهود ـ اليوم ـ ننتقل بصفة مستمرة من مكان إلى آخر، وهناك تيار قوى يحملنا بشكل فعلى عبر البحر غرباً إلى الولايات المتحدة، حيث وجودنا هناك أيضاً غير مرغوب فيه. فأين سيكون وجودنا مرغوباً فيه طالما أننا أمة بلا وطن؟

ولكننا سنعطى لأبناء شعبنا وطناً، سنعطيهم ليس عن طريق جرهم بلا رحمة خارج الأرض التى تؤويهم، ولكن على الأحرى استزراعهم بعناية فى أرض أفضل. وكما نحرص على أن نخلق علاقات سياسية واقتصادية جديدة، سيكون حرصنا على قداسة الماضى كله، هذا الماضى العزيز على قلوب شعبنا.

إننى هنا أقدم بعض المقترحات، وأرجو أن تكون كافية. ذلك لأن هذا الجزء من مشروعى ـ فى أغلب الظن ـ سيتهم بأنه مشروع خيالى. ومهما كان هذا المشروع ممكناً وواقعياً، إلا أنه يبدو الآن وكأنه شئ غامض وبلا هدف. إن التنظيم سيجعل منه شيئا معقولا.

الهجرة فى جماعات

على شعبنا أن يهاجر فى جماعات من الأسر والأصدقاء. ولن يُجبر إنسان على الالتحاق بمجموعة معينة تنتمى إلى مكان إقامته السابق. فكل واحد سيتمكن من الارتحال بالطريقة التى يختارها، حينما تتهيأ ظروفه للرحيل. ولما كان كل شخص سيدفع نفقات رحلته بالقطار أو السفينة، فمن الطبيعى أن يرحل فى الدرجة المناسبة له. ولعله لن يكون

1 حُذفت هذه العبارة فى تنقيح طبعة دوفر 1988 المشار إليه سابقاً. ولقد أثبتناها هنا التزاماً بأمانة الترجمة، وإن كان المعنى يمكن أن يستقيم بدونها. إنها على الأرجح تكشف عن لعض الملامح الساخرة التى تميز بها أسلوب هرتسل فى انتقاده لمظاهر حياة اليهود فى الشتات. فكأنه يريد أن يقول:إن حرص اليهود على قبورهم لا يقل عن حرصهم المعروف على المال.

هناك تفرقة فى الدرجات بالقطار أو السفينة، حتى نتجنب تعميق شعور الفقراء بأوضاعهم أثناء رحلتهم الطويلة. إننا وإن لم نكن ننظم رحلة ترفيهية، إلا أنه لا بأس من إشاعة جو من المرح خلال الطريق.

لن يرحل أحد فى إملاق. ومن ناحية أخرى كل من أراد أن يسافر مرفها فما عليه إلا أن يتبع هواه. حتى مع الظروف السانحة، فإن الحركة لن تمس طبقات بعينها من اليهود لسنوات قادمة. ويمكن الاستفادة بالمرحلة الانتقالية فى اختيار أفضل الأساليب لتنظيم الرحلات. أما القادرون فيمكنهم أن يرحلوا فى جماعات ـ إن شاءوا ـ آخذين معهم أصدقائهم وأقاربهم. إن اليهود ــ فيما عدا الأثرياء منهم ــ لديهم قليل من العلاقات الزوجية مع المسيحيين. كما أنه فى بعض البلاد تنحصر معرفتهم بالمسيحيين فى عدد قليل من الطفيليين والمقترضين والأتباع، أما بالنسبة للطبقات الأفضل من المسيحيين فإن اليهود لا يعرفون عنهم شيئاً. إن الجيتو لا يزال قائماً رغم انهيار جدرانه.

وبناء على ذلك فإن الطبقات الوسطى سوف تقوم بإعداد مدروس ودقيق للرحيل، وسوف تُشكّل فى كل منطقة مجموعة من الراحلين، أما المدن الكبيرة فستقسم إلى أحياء فى كل حى منها مجموعة، وسيكون الاتصال فيما بينهم عن طريق ممثلين منتخبين لهذا الغرض. هذا التقسيم إلى أحياء ليس حتما إتباعه حرفياً، إنما المقصود به تخفيف متاعب الفقراء، وتجنيبهم مشاعر الحنين إلى الوطن أثناء رحيلهم إلى الخارج. وكل إنسان سيكون حراً فى أن يسافر وحده أو ملتحقاً بأى مجموعة محلية يفضلها. وسوف تطبق شروط السفر المنظم ـ حسب الطبقات ـ على الجميع على حد سواء. فأى مجموعة مسافرة ذات عدد كاف يمكنها أن تستأجر من الشركة قطاراً خاصاً وسفينة خاصة.

ولسوف توفر وكالة الإسكان بالشركة مساكن لأفقر المهاجرين عند وصولهم. وفيما بعد عندما يأتى مهاجرون أيسر حالاً فإن حاجتهم الواضحة إلى الإقامة فور وصولهم سوف توفرها لهم الفنادق المقامة بواسطة القطاع الخاص. وسيكون بعض هؤلاء الموسرين من المستعمرين ـ بالتأكيد ـ قد بنوا منازلهم قبل أن يصبحوا مستوطنين دائمين. ومن ثم فإنهم سينتقلون مجرد انتقال من بيت قديم إلى بيت جديد.

إنها لإهانة لعناصرنا المثقفة أن نعرض لكل شئ يجب عليهم أن يفعلوه، إنما كل إنسان مرتبط بالفكرة القومية يعلم كيف يشيع هذه الفكرة، وكيف يجعلها واقعاً فى دائرة نفوذه. ونحن فى بادئ الأمر نتطلب العون من كهنتنا.

كهنتنا

كل مجموعة سيكون لها حاخامها يسافر مع رعيته. وسوف تتشكل المجموعات المحلية فيما بعد تشكيلاً تطوعياً حول حاخامها، وسوف يكون لكل مجموعة محلية قائدها الروحى.

إن حاخامتنا الذين نوجه إليهم دعة خاصة سيكرسون طاقاتهم فى خدمة فكرتنا، وسيحفزون رعاياهم بالوعظ من فوق منابرهم، فلن يحتاجوا إلى التحدث فى اجتماعات خاصة من أجل هذا الغرض، فدعوة كهذه جديرة بأن يتردد صداها بين جدران المعابد.

وهكذا ينبغى أن تكون. إننا نستشعر صلاتنا التاريخية فحسب من خلال عقيدة آبائنا، كما أننا ـ منذ زمن طويل ـ قد تشربنا لغات الأمم المختلفة لدرجة لا يمكن اقتلاعها.

سوف يتلقى الحاخامات أخباراً منتظمة من كل من الجمعية والشركة، وسوف يعلنون عنها ويشرحونها لرعاياهم. إن إسرائيل سوف تصلى لنا ولنفسها.

ممثلو المجموعات المحلية

سوف تعين المجموعات لجاناً صغيرة من الرجال تحت رئاسة الحاخام، لمناقشة وإقرار الشئون المحلية. وسوف تنقل هذه المجموعة مؤسساتها الخيرية معها. كل مؤسسة تظل "هناك" ملكاً لنفس مجموعة الناس التى أسست أصلاً من أجلهم. وأرى أنه لا ينبغى بيع المبانى القديمة، وإنما تخصص على الأرجح لمساعدة المسيحيين الفقراء فى المدن التى هجرها اليهود، وفى مقابل ذلك ستتلقى المجموعات المحلية تعويضات عن طريق الحصول على أرض مجانية للبناء، وعلى مساعدات لإعادة البناء فى الدولة الجديدة.

إن نقل المؤسسات الخيرية سيقدم واحدة من تلك الفرص التى تتكرر عند نقاط مختلفة فى مشروعى، لإجراء تجربة فى خدمة الإنسانية. إن أعمالنا الخيرية الخاصة التى لا تعمل فى منظومة واحدة فى الوقت الراهن، تعطى خيراً قليلاً، مقارنة بالإنفاق الهائل الذى تنطوى عليه.

إن هذه المؤسسات يمكن بل يجب أن تشكل جزءاً من نظام، حيث يكمل بعضها البعض الآخر فى نهاية الأمر. ففى مجتمع جديد يمكن لهذه المؤسسات أن تنبع من وعينا الحديث، ويمكن إنشاؤها على أسس من تجاربنا الاجتماعية السابقة. وهذا أمر بالغ الأهمية بالنسبة لنا، بالنظر إلى العدد الكبير من المعوزين بيننا.

إن الأشخاص الضعاف منا؛ أولئك الذين أحبطتهم الضغوط الخارجية، وأفسدهم الإحسان من جانب أثريائنا، ينهارون بسهولة حتى ينتهى بهم الأمر إلى التسول. وستولى الجمعية ـ مدعمة بالمجموعات المحلية ـ عناية أكبر إلى التعليم الشعبى فيما يتعلق بهذه النقطة.

إنها ستخلق تربة مثمرة لكثير من القوى التى عادت تتلاشى فى الوقت الراهن بشكل دائم ودونما فائدة، فمن يبدى رغبة أكيدة للعمل سوف يُعطى العمل المناسب، ولن يكون هناك مكان للفقراء المعدمين، أما من يرفض أن يعمل أى شئ كرجل حر فسوف يرسل إلى الإصلاحية.

من ناحية أخرى فإننا لن نحيل عجائزنا إلى الملاجئ، فهذه الملاجئ من أقسى أنواع المؤسسات الخيرية التى اخترعها كرمنا الغبى حتى الآن، فيها يموت عجائزنا عاراً وإذلالاً، إنهم فيها مدفونون.

إننا سنترك حتى لأولئك الذين يتمتعون بأقل درجات الذكاء وهماً مواسياً بأنهم ذوو فائدة فى هذا العالم؛ فسوف نوفر أعمالاً سهلة لأولئك العاجزين عن العمل العقلى، إذ يجب علينا أن نأخذ فى اعتبارنا تضاؤل الحيوية فى أجيال هدها الفقر. أما الأجيال المقبلة فستعامل بأسلوب آخر، إنهم سيربون على الحرية لحياة حرة.

إننا سوف نسعى بالعمل لمنح الخلاص الأخلاقى للرجال من جميع الأعمار والطبقات، وهكذا يستعيد شعبنا قوته من جديد فى الأرض ذات السبع ساعات عمل فى اليوم.

تخطيط المدن

سوف تفوض المجموعات المحلية ممثليها المعتمدين لاختيار مواقع المدن. وسيؤخذ عند توزيع الأراضى كل احتياط ممكن لإجراء انتقال دقيق محكم، مع الأخذ فى الاعتبار الحقوق المكتسبة. وسوف يكون لدى المجموعات المحلية خطط للمدن بحيث يستطيع أبناء شعبنا أن يعرف مُسبّقاً أين سيذهبون، إلى أى مدينة، وفى أى المنازل سيعيشون. وسوف توزع على المجموعات المحلية رسوم واضحة لتصميمات المبانى التى أشرت إليها سابقاً.

إن مبدأ إدارتنا هو المركزية الصارمة للحكم الذاتى للمجموعات المحلية، وبهذه الطريقة سيتم الانتقال بأقل قدر من المعاناة.

أنا لا أتصور أن يكون هذا كله أسهل مما هو عليه فى الحقيقة، ومن ناحية أخرى لا يجب على الناس أن يتصوروا أنه أصعب مما هو عليه فى الواقع.

رحيل الطبقات الوسطى

إن الطبقات الوسطى سوف تنجرف تلقائياً فى التيار الخارج؛ فأبناؤهم سيكونون موظفين فى الجمعية أو أجراء فى الشركة "هناك". إن المحامين والأطباء والفنيين من كل نوع، ورجال الأعمال الشباب، وفى الحقيقة كل اليهود الذين يبحثون عن فرص، والذين يفرون اليوم من الاضطهاد فى أوطانهم لكى يكسبوا عيشهم فى أرض أجنبية، سوف يجتمعون على أرض مليئة بالوعود المواتية. ستتزوج بنات الطبقة المتوسطة أولئك الرجال الطموحين، وسيبعث أحدهم فى طلب زوجته أو خطيبته للحاق به، وسيبعث آخر فى طلب أبويه أو اخوته وأخواته.

وسيتزوج أبناء الحضارة الجديدة فى سن مبكرة، وهذا من شأنه أن يرتقى بالأخلاق العامة، ويضمن القوة فى الجيل الجديد، وهكذا لن يكون عندنا أبناء ضعاف بسبب الزيجات المتأخرة، أطفال من آباء أنهكوا قوتهم فى الصراع من أجل العيش.

كل مهاجر من الطبقة الوسطى سوف يجلب بعده كثيراً من نوعه. وبشكل طبيعى سوف يحصل الأكثر شجاعة على الأفضل فى العالم الجديد.

ولكن يبدو لى هنا أننى قد لمست بلا شك مشكلة حاسمة من خطتى، فحتى لو نجحنا فى فتح مناقشة عالمية للمناقشة اليهودية بطريقة جدية، وحتى لو قادنا هذا النقاش إلى نتيجة إيجابية بأن الدولة اليهودية ضرورية للعالم، وحتى لو ساعدتنا القوى[2] فى الحصول على السيادة على قطعة من الأرض، فكيف يتسنى لنا أن ننقل جماهير اليهود دون إكراه زائد من أوطانهم الحالية إلى هذه الدولة الجديدة؟ إن هجرة اليهود مقصود بها بكل تأكيد أن تكون هجرة طوعية.

---

2 يفهم من السياق أنه يقصد القوى العالمية.

ظاهرة الجمهرة

أى جهد ضخم قلما سيكون ضرورياً لحث الحركة، فإن أعداء السامية يوفرون القوة الدافعة اللازمة لذلك، إنهم يحتاجون فقط إلى القيام بما فعلوه من قبل، ومن ثم سيخلقون الرغبة فى الهجرة حيثما لم تكن موجودة، ويمنحونها القوة التى كانت قائمة قبل ذلك. إن اليهود الذين بقوا فى دول معادية للسامية يفعلون ذلك أساساً، لأنه حتى الذين هم أكثر جهلاً بالتاريخ، يعلمون أن كثيراً من التغييرات الحياتية فى القرون الماضية لم تجلب لهم أى خير دائم. وأى دولة ترحب باليهود اليوم وتوفر لهم حتى مزايا أقل مما توفره الدولة اليهودية ـ إذا نشأت ـ مثل هذه الدولة سوف تجتذب على الفور تدفقاً عظيماً من أبناء شعبنا، فالفقراء الذين ليس لديهم ما يفقدونه سوف يجرجرون أنفسهم إلى هناك. ولكننى أزعم ـ وكل إنسان من حقه أن يتساءل إن لم أكن محقاً ـ أن الضغوط الواقعة علينا تثير فينا الرغبة فى الهجرة، حتى بين الطبقات الموسرة فى المجتمع. إن طبقاتنا الفقيرة وحدها تكفى لإقامة دولة، فهؤلاء يشكلون أقوى العناصر البشرية القادرة على حيازة الأرض، لأن قليلاً من اليأس لا غنى عنه للقيام بالإنجازات الكبرى.

ولكن عندما يتزايد عدد المغامرين منا، فإن قيمة الأرض ـ بوجودهم وبالعمل الذى ينفقونه عليها ـ تتزايد، وفى نفس الوقت فإنهم يجعلون الأرض أكثر جاذبية كمكان لاستيطان أناس أيسر حالاً. وستشعر طبقات أعلى وأعلى بإغراء للذهاب إلى هناك. إن الحملة الاستكشافية من المستوطنين الأوائل والأفقر، سوف تقودها الشركة والجمعية متضافرتين، ولربما يعززهما فى ذلك جمعيات الهجرة القائمة والجمعيات الصهيونية.

كم من الناس قد تم توجيههم إلى مكان معين بدون إعطائهم أوامر عاجلة للذهاب هناك؟ هناك بعض اليهود المحسنين على نطاق واسع ممن يحاولون رفع المعاناة عن اليهود من خلال التجارب الصهيونية.

هذه المشكلة تطرح نفسها عليهم أيضا، وقد فكروا فى حلها عن طريق إعطاء المهاجرين مالاً أو وسائل للعمل. وهكذا فإن المحسنين يقولون: "إننا ندفع لهؤلاء الناس لكى يذهبوا إلى هناك".

مثل هذا العمل محض خطأ، فكل مال العالم لن يحقق الغرض منه.

من ناحية أخرى تقول الشركة: "نحن لن ندفع لهم، بل سنجعلهم يدفعون لنا، نحن فقط سنوفر لهم بعض الحوافز لكى يرحلوا".

ولكى يكون المعنى الذى أقصده أكثر وضوحاً دعنا نتصور هذا الموقف: أحد هؤلاء المحسنين (وسنطلق عليه اسم البارون) وأنا معاً نريد أن نُحضر جمهوراً من الناس إلى سهل "لون شان" بالقرب من باريس، فى يوم أحدٍ قائظ بعد الظهيرة. البارون بوعده لهم عشرة فرنكات لكل واحد سيجلب بمائتى ألف فرنك عشرين ألفاً من العرقى البائسين. وسوف يلعنونه لأنه سبب لهم كثيراً من الضُّر. أما أنا فسأجعل هذه المائتى ألف فرنك جائزةً لأسرع فرس فى حلبة السباق، وسأقيم حواجز لأمنع الناس من الدخول. إنهم سيدفعون لكى يدخلوا فرنكاً وخمسة فرنكات وعشرين فرنكاً.

وستكون النتيجة أننى سآتى بنصف مليون هناك، وسيحضر رئيس الجمهورية لتشريف الحفل، وسوف يستمتع الجمهور ويتسلى، وسيرى غالبيتهم ـ رغم الحرارة والغبار ـ أنها فسحة مرغوبة فى الهواء الطلق، وسوف أحصل فى مقابل المائتى ألف فرنك على حوالى مليون من رسوم الدخول وضرائب اللعبة. وسأستطيع أن آتى بالناس إلى هناك عندما أريد، أما البارون فلن يستطيع ذلك بأى وجه من الوجوه.

سوف أستعرض فيما يلى صورة أكثر جدية لظاهرة الجمهرة حيث يكسب الناس عيشهم. لنجعل رجلاً ما أن يجرب النداء فى طرقات مدينة ما قائلاً "كل من يستطيع أن يقف طوال اليوم فى برد الشتاء القارس، وفى حرارة الصيف اللاهبة فى بهو مفتوح من الحديد، ليخاطب كل عابر سبيل، ويقدم له بعض التحف أو السمك أو الفاكهة، كل من يستطيع أن يفعل ذلك سيمنح فلورينان أو أربع فرنكات أو ما يماثل ذلك".

كم من الناس سيذهب إلى هذا البهو؟ وكم من الزمن سيبقى الجمهور خارج البهو حتى يسوقهم الجوع إليه؟ وإذا بقوا فى الخارج، أى قدر من الجهد عليهم أن ينفقوا فى محاولة إقناع المارة بشراء السمك والفاكهة والتحف؟

سوف نعرض المسألة بطريقة مختلفة. فى أماكن تكون فيها التجارة نشيطة، ونحن نكتشف مثل هذه الأماكن بسهولة كبيرة، فنحن نوجه التجارة حيثما نرغب. فى هذه الأماكن سوف نبنى ردهات كبيرة نسميها أسواقاً، ربما تكون أسوأ بناءً وأقل صحية من تلك التى سبق ذكرها، ومع ذلك فسوف يتقاطر عليها الناس.

ولكننا سنبذل قصارى جهدنا، وسنبنى هذه الأسواق بطريقة أفضل، وسنجعلها أجمل. ولن نعد أصحاب الأعمال بشىء، لأننا لا نستطيع أن نعد بشىء ينطوى على خداع، هؤلاء الناس من رجال الأعمال المتحمسين، سوف يخلقون بسرور معاملات تجارية أكثر نشاطاً. إنهم سيشجعون المشترين بلا كلل، سيقفون على أقدامهم وقلما سيشكون من التعب، سوف يتدافعون كل يوم لكى يكونوا أول من يصل إلى موقعه، سوف يؤلفون اتحادات وكارتلات، وسيفعلون أى شئ لكى يستمروا فى كسب معاشهم دون عائق. وإذا وجدوا أنهم فى آخر النهار وبعد كل هذا الجهد أنهم كسبوا فلورين واحد أو خمسين كرتزر أو ثلاثة فرنكات أو ما أشبه، فإنهم سينظرون بأمل فى اليوم التالى لعله يأتيهم بحظ أفضل.

لقد أعطيناهم أملاً

فهل يسأل أحد من أين يأتى الطلب الذى يخلق السوق؟ وهل من الضرورى حقيقة أن نخبرهم مرة أخرى؟

لقد أشرت فيما سبق إلى أنه بواسطة نظام "المساعدة بالعمل" فإن العائد يمكن أن يتضاعف خمسة عشرة مرة، وأن المليون يمكن أن ينتج خمسة عشر مليوناً، وأن ألف مليون تنتج خمسة عشر ألف مليون.

قد يُصدَّقْ هذا فى الحالات فى الحالات ذات المجال الصغير، فهل يصدق أيضاً على مجالات أكبر؟ إن رأس المال بالتأكيد يدر عائداً يتناقص بنسبة عكسية لنموه. ولكن رأس المال الخامل يدر هذا العائد المتناقص، أما رأس المال النشط فإنه يأتى بعائد متزايد بطريقة باهرة، وهنا تكمن المسألة الاجتماعية.

فهل أقرر حقيقية؟ إننى أدعو أغنى اليهود كشهود على صحة كلامى. لماذا يديرون صناعات كثيرة مختلفة؟ ولماذا يرسلون الرجال ليعملوا تحت الأرض ليستخرجوا الفحم، وسط مخاطر فادحة فى مقابل أجور ضئيلة؟

إننى لا أتخيل أن هذا شئ سار، حتى ولا بالنسبة لأصحاب المناجم، لأننى لا أعتقد أن الرأسماليين لا رحمة عندهم. أنا لا أتظاهر بالاعتقاد فى هذا، إنما أود ألا أركز على الخلافات بل تهدئتها.

هل من الضرورى تصوير ظاهرة الجمهرة وتركيز الجماهير فى بقعة معينة بالإشارة إلى الحج المقدس؟ أنا لا أتظاهر بالاعتقاد فى هذا، إنما أود ألا أركز على الخلافات بل تهدئتها.

سوف ألمح فقط باختصار شديد إلى حج المحمديين[3] إلى مكة، وإلى حج الكاثوليك إلى لوردز Lourdes[4]، وإلى أماكن أخرى كثيرة يعود منها الناس وقد ملأ الإيمان قلوبهم بالغبطة، وإلى الصومعة المقدسة فى تريير Trier[5].

وهكذا، فإننا سنخلق أيضا مركزاً للحاجات الدينية العميقة لشعبنا. وسيفهمنا حاخاماتنا أولاً، وسوف يكونون معنا فى هذا السبيل. سوف ندع كل إنسان يبحث عن خلاصه "هناك" بطريقته الخاصة، وفوق كل شئ وقبله سنهيئ مكاناً للمجموعة الخالدة من مفكرينا الأحرار، الذين يصنعون دائماً فتوحات جديدة للإنسانية.

لن نمارس القوة على أحد إلا بالقدر الضرورى الذى يحافظ على الدولة وعلى النظام. هذه القوة اللازمة لن يحددها عشوائياً سلطة واحدة أو أكثر من تلك السلطات المتغيرة، بل يقررها قانون صارم.

والآن، إذا كانت الصور التى قدمتها ستجعل أناساً يستخلصون أن الجمهور ينجذب بصفة مؤقتة فقط إلى مراكز العقيدة أو التجارة أو الترفيه، فإن الإجابة على اعتراضهم بسيطة! فبينما أحد هذه الأهداف فى حد ذاته سيجذب الجماهير دون ريب، فإن هذه المراكز الجاذبة معاً ستكون فى الحسبان بصفة دائمة لتجميع الجماهير وإشباعهم، لأن هذه المراكز مجتمعة معاً تشكل هدفا واحدا عظيما أمعن التفكير فيه طويلاً، وطالما اشتاق شعبنا طويلاً للحصول عليه، ومن أجله حافظ شعبنا على حياته، حافظ على حياته بالضغوط الواقعة عليه من الخارج، إنه الوطن الحر! .

عندما تبدأ الحركة سوف نجذب بعض الناس، وسندع آخرين يلحقون بنا، وآخرون سيجرفهم التيار، وسيقحم فى النهاية آخرون إقحاما. هؤلاء المستوطنون المترددون الذين سيصلون فى النهاية، سيكونون أسوأ الجميع سواء "هنا" أو "هناك".

---

3 هكذا اشتهر المسلمون بهذا الاسم فى أوروبا.

4 مدينة فرنسية.

5 مدينة فى ألمانيا قرب الحدود مع لوكسمبورج.

أما الأوائل الذين سيذهبون إلى هناك بعقيدة وحماس وشجاعة، فسيحتلون أفضل المراكز.

نسيجنا الإنسانى

هناك أفكار خاطئة تشيع عن اليهود أكثر من أى شعب آخر. ولقد أصبحنا محبطين مكتئبين خلال معاناتنا التاريخية، حتى أننا أنفسنا نكرر ونعتقد فى هذه الأخطاء.

مثال ذلك التأكيد على أننا نعشق المشروعات بشكل متطرف. ولكن من المعروف جيداً عنا أننا سرعان ما نتخلى عن مشروعاتنا عندما يُسمح لنا أن نأخذ نصيباً فى الطبقات الصاعدة. كما أن الغالبية العظمى من رجال الأعمال اليهود يهيئون لأبنائهم تعليماً عالياً، ولعله من هنا جاء ما يسمى "تهويد" المهن الفكرية.

ولكن حتى فى الدرجات الاجتماعية الأضعف اقتصادياً فإن حبنا للتجارة ليس مسيطراً كما هو مفترض بصفة عامة؛ ففى الدول الشرقية بأوربا هناك عدد كبير من اليهود ليسوا تجاراً، وهم لا يعزفون عن ممارسة العمل الشاق.

سوف تتمكن جمعية اليهود من إعداد إحصاءات علمية دقيقة لقوانا البشرية، فإن المهام الجديدة ومشروعات المستقبل التى تنتظر شعبنا فى الوطن ستشبع احتياجات أصحاب الحرف اليدوية الحاليين إلى عمال يدويين. إن البائع المتجول الذى يرتحل فى البلاد وعلى ظهره صرة ثقيلة ليس راضيا كما يتصور مضطهدوه. ولسوف يحول نظام "السبع ساعات عمل فى اليوم" كل الرجال من هذا النوع إلى عمال. إنهم أناس صالحون أسئ فهمهم، ولعلهم يتحملون الآن من العناء أكثر من غيرهم. وسوف تعنى جمعية اليهود منذ البداية بتدريبهم على الصناعات اليدوية، وسوف يشجع حبهم للكسب بطريقة صحية. إن اليهود لديهم نزعة التدبير فى المال والقدرة على التكيف' فهم مؤهلون لأى وسيلة من وسائل كسب العيش. ومن ثم سيكون كافياً أن نجعل التجارة الصغيرة مربحة، لكى نجعل حتى الجوالين الحاليين يتخلون نهائياً عن هذا العمل. يمكن إحداث هذا مثلاً بتشجيع أصحاب المحلات التجارية الكبرى التى توفر كل ضروريات العيش.

هذه المحال العامة تقضى بالفعل على التجارة الصغيرة فى المدن الكبرى. وفى أرض الحضارة الجديدة ستمنع ظهورها كلية. كذلك فإن إنشاء هذه المحال الكبيرة لها ميزة أخرى، لأنها سرعان ما تجعل الوطن موضع جذب لأناس احتياجاتهم الحياتية أعلى ذوقاً.

العادات

هل الإشارة إلى العادات ووسائل الرفاهية الصغيرة للإنسان العادى مما يتفق مع الطبيعة الجادة لهذا الكتيب؟ أعتقد أنها تتفق، بل أكثر من ذلك أنها كبيرة الأهمية، لأن هذه العادات الصغيرة هى الخيوط الدقيقة الرفيعة التى تصنع فى مجموعها حبلاً لا يسهل قطعه.

هنا الأفكار المحدودة التى ينبغى التخلى عنها. فمَن رأى من العالم شيئاً يعرف أن هذه التقاليد اليومية الصغيرة يمكن استزراعها بسهولة فى أى مكان. إن الابتكارات التكنولوجية لعصرنا، والتى يعتزم هذا المشروع توظيفها فى خدمة الإنسانية، قد استخدمت حتى اليوم بصفة أساسية من أجل عاداتنا الصغيرة. فهناك فنادق إنجليزية فى مصر، وعلى قمم الجبال

فى سويسرا، ومقاهى فيينا موجودة فى جنوب إفريقيا، ومسارح فرنسية فى روسيا، وأوبرا ألمانية فى أمريكا، وأفضل بيرة بافارية فى باريس. وعندما نرحل من مصر مرة أخرى فلن نترك خلفنا ملذات الحياة. كل إنسان سيجد عاداته مرة ثانية فى المجموعة المحلية، ولكنها ستكون أفضل وأجمل وأكثر مسرة عن ذى قبل.

الفصل الخامس
ـ جمعية اليهود والدولة اليهودية

إدارة العمل[1]

هذا الكتيب ليس موجهاً للمحامين، ولذا فإننى سوف ألمس لمساً عابراً ـ كشأن أشياء أخرى كثيرة ـ نظريتى فى الأساس القانونى للدولة.

وعلى الرغم من ذلك فيجب أن أضع بعض التأكيد على نظريتى الجديدة، التى أعتقد أنه يمكن مساندتها، حتى فى المناقشة مع رجال ضالعين فى فلسفة القانون.

طبقاً لروسو، الذى أصبحت نظريته الآن ذات قيمة تاريخية، تقوم الدولة بمقتضى عقد اجتماعى. يقول روسّو "إن شروط هذا العقد محددة تحديداً دقيقاً بمقتضى طبيعة الاتفاق بحيث أن أقل تغيير يجعلها باطلة ولاغية، ويترتب على ذلك أنه حتى عندما لا تكون الشروط معلنة بوضوح، فإنها متطابقة فى كل مكان..إلخ".

إن الاعتراض المنطقى والتاريخى على نظرية روسّو لم يكن وليس الآن صعباً مهما يكن مفزعاً ومهما كانت نتائجه بعيدة المدى.

إن مسألة وجود عقد اجتماعى ـ مع "شروط غير معلنة بوضوح، ومع ذلك غير قابلة للتعديل" ـ قبل صياغة دستور أم لا، ليس موضع اهتمام عملى من جانب دول تحت أشكال جديدة من الحكومات. ومهما يكن الأمر فإن العلاقة القانونية بين الحكومة والمواطنين أصبحت الآن مقررة تقريراً واضحاً.

لكن قبل صياغة الدستور وأثناء خلق دولة جديدة تفترض هذه المبادئ أهمية عملية كبيرة. إننا نعلم ونرى أمامنا دولاً لا تزال مستمرة فى النشوء، مستعمرات انشقت من الدولة الأم، أتباع ينفصلون عن حاكمهم الإقطاعى، أراضٍ تم فتحها حديثاً تشكل على الفور دولاً حرة.

حقاً إن الدولة اليهودية يمكن تصور أنها تركيبة جديدة ومميزة، وعلى أرض غير محددة. إلا أ، الدولة لا تتشكل بواسطة قطعة من الأرض، ولكن بواسطة عدد من الناس متحدين تحت سلطة سيادية. الشعب هو الأساس الذاتى للدولة، والأرض هى الأساس الموضوعى لها. والأساس هو أهم الاثنين. فعلى سبيل المثال هناك سلطة ليس لها أساس موضوعى على الإطلاق، وهى على الأرجح الأكثر احتراماً فى العالم، وأنا هنا أشير إلى السلطة البابوية.

النظرية العقلية هى النظرية المقبولة الآن فى علم السياسة. هذه النظرية كافية لتبرير إقامة دولة، ولا يمكن دحضها تاريخياً بنفس السهولة التى فنّدنا بها نظرية العقد.

---

1 تبدو ثقافة هرتسل القانونية فى هذا الجزء واضحة.

إننى طالما كنت معنيا فقط بإقامة دولة يهودية، فأنا داخل حدود النظرية العقلية، أما عندما أتعرض للأساس القانونى للدولة فأنا أتجاوز هذه الحدود.

إن نظريات المؤسسة الدينية أو القوة العظمى أو العقد والنظرية البابوية والإرثية كلها لا تتفق مع الفكر الحديث. فالقاعدة القانونية للدولة إما أن يُنظر إليها بمغالاة شديدة من خلال الأشخاص كالنظرية الأبوية أو نظرية القوة العظمى أو نظرية العقد. وإما يُنظر إليها نظرة مغالية فى الاستعلاء كنظرية المؤسسة الدينية. وإما ينظر إليها نظرة مغالية فى الدونية كالنظرية الإرثية الموضوعية. إن النظرية العقلية تترك هذا السؤال بدون إجابة شافية دقيقة. ولكن هناك سؤال شغل اهتمام أساتذة القانون فى كل العصور، ولا يمكن أن يكون سؤالاً عقيماً بصفة مطلقة. فى حقيقة الأمر، هناك مزيج مما هو إنسانى وما هو فوق الإنسانى فى إنشاء دولة. هناك قاعدة قانونية لا بمكن الاستغناء عنها لإيضاح العلاقة القهرية بعض الشيء، والتى بمقتضاها يخضع الرعايا للحكام. أنا أعتقد أن هذه القاعدة يمكن أن توجد فيما يسمى "Negotiorum gestio" إدارة العمل، يمثل فيها مجموع المواطنين أصحاب العمل، وتمثل الحكومة مدير هذا العمل. لقد أنتج الرومان بإحساسهم الرائع للعدالة هذه القطعة النبيلة "نجوتيوروم جستيو"، فحينما تكون ملكية شخص ما مضطهد فى خطر يتقدم رجل ما لإنقاذها، هذا الرجل هو "الكفيل" الذى يتطوع لإدارة شئون عمل ليس من أملاكه، إنه لم يتلق تفويضاً، أعنى تفويضاً بشرياً، إنما شعوره الرفيع بالواجب يعطيه الصلاحية لكى يتصرف. هذه الالتزامات الرفيعة بالنسبة للدولة يمكن صياغتها بأساليب مختلفة، لكى تستجيب لدرجة الثقافة التى حصّلها الأفراد بنمو القوة العامة للإدراك. ويقصد بـ"الكفيل" أن يعمل لصالح أصحاب العمل، أى الناس الذين ينتمى إليهم الكفيل نفسه.

يتولى "الكفيل" إدارة الملكية التى هو شريك فى ملكيتها، وملكيته المشتركة تؤهله للتدخل الضرورى عند الظروف العاجلة، وتتطلب قيادته فى السلم والحرب. ولكن لا يمكن أن تكون سلطته ملزمة لمجرد كونه شريكاً فى الملكية. إن رضاء الملاك المشتركين العديدين حتى تحت أفضل الظروف مسألة فيها نظر. إن الدولة تولد من خلال صراع الأمة من أجل الوجود. وفى مثل هذا الصراع من المستحيل الحصول على تفويض مناسب وبطريقة مفصلة سلفاً. وفى الحقيقة فإن أى محاولة مسبقة للحصول على قرار منظم من الأغلبية قد يهدم المشروع وهو فى بدايته.

فالانشقاق من الداخل قد يترك الناس بلا حماية تجاه الأخطار الخارجية. إننا لا يمكن أن نكون جميعاً على فكر رجل واحد، ولذلك فسيأخذ "الكفيل" القيادة فى يده ببساطة وينطلق فى المقدمة.

إن تصرف "كفيل" الدولة يصبح مبرراً تبريراً كافياً إذا أضحى الهدف المشترك فى خطر، وبدا أصحاب الشأن غير قادرين على مساعدة أنفسهم، إما بسبب فقدان الإرادة أو لأسباب أخرى. ولكن "الكفيل" يصبح بتدخله مثل أصحاب الشأن، مقيداً بالاتفاق الذى يشبه العقد. وهذه هى العلاقة القانونية القائمة قبل؛ أو على الأصح التى نشأت فى نفس الوقت مع نشوء الدولة.

وهكذا يصبح مسئولاً عن كل شكلً من أشكال الإهمال، حتى عن إخفاق أعمال المشروعات وعن إهمال تلك الشئون المتصلة بها اتصالاً وثيقا.. إلخ. إننى لن أطيل فى

الحديث عن "إدارة العمل" بل أفضل تركها للدولة حتى لا نذهب بعيداً عن الموضوع الأساسى أكثر مما ينبغى.

هناك ملاحظة واحدة، "ستكون إدارة العمل فعالة تماماً إذا كان المالك قد وافق عليها، كأنما قد نُفِّذت أصلا بواسطة سلطته".

والآن، كيف يؤثر هذا كله على حالتنا؟

إن الشعب اليهودى محروم حالياً ـ بسبب وجوده فى حالة الشتات ـ من إدارة شئونه السياسية بنفسه. إلى جانب ذلك فإن اليهود فى حالة من العسر الشديد ـ قلّت أو كثرت ـ فى أجزاء شتى من العالم. إنهم يحتاجون ـ قبل كل شئ ـ إلى كفيل. هذا الكفيل لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون فرداً واحداً. فإن مثل هذا الفرد إما أن يجعل نفسه موضع سخرية، أو باعثاً على الاحتقار إذا بدا أنه يحقق مصالحه الخاصة.

إن كفيل اليهود ينبغى أن يكون هيئة عامة، وتلك هى "جمعية اليهود".

كفيل اليهود

نتعرض هنا لأداة الحركة القومية من حيث طبيعتها ووظائفها التى سنتعامل معها فى النهاية، إنها فى الحقيقة يجب أن تنشأ قبل أى شئ آخر. تكوينها بالغ السهولة. إنها سوف تتشكل على أيدى أولئك اليهود النشطين الذين أطلعتهم على مشروعى فى لندن[2].

سيكون لدى الجمعية مهمات علمية وسياسية لإنشاء الدولة اليهودية كما أتخيلها، وأنا أفترض مسبقاً أن تطبق الجمعية المناهج العلمية. فلن نرحل اليوم من مصر بالطريقة البدائية التى رحلنا بها فى العصور القديمة. إننا سوف نحصل مسبقاً على إحصاءات دقيقة لعددنا وقوتنا.

إن الإنجاز الذى حققه الكفيل القديم والعظيم فى العصور البدائية بالنسبة لكفيلنا المعاصر يشبه النسبة بين اللحن الفردى المبدع إلى العمل الأوبرالى الحديث. إننا نلعب نفس اللحن مع كثرة من الفيولين والفلوت والهارب والفيلنسل والباس ومع الإضاءة الكهربية والديكورات والكورس والملابس الجميلة وأفضل المغنيين فى عصرهم.

هذا الكتيب معنىّ بفتح باب المناقشة فى "المشكلة اليهودية"، وسيشترك فى هذه المناقشة الأصدقاء والأعداء على السواء. ولكنى آمل ألا تأخذ المناقشة شكل السباب العنيف أو التبرير العاطفى، بل مناظرة ذات طابع علمى جاد وسياسى.

وستجمع جمعية اليهود تصريحات السياسيين والبرلمانات والتجمعات اليهودية، والجمعيات، سواء عُبِّرَ عنها فى أحاديث أو كتابات أو فى اجتماعات أو فى صحف أو كتب.

---

2 ألقى هرتسل خطاباً فى اجتماع نادى المكابيين Maccebean Club بلندن الذى ترأسه إسرائيل زنجويل Israel Zangwell فى 24 نوفمبر 1885.

وهكذا ستكشف الجمعية لأول مرة عما إذا كان اليهود حقيقة يرغبون فى الذهاب إلى أرض الميعاد، وعما إذا كان يجب عليهم أن يذهبوا. وسترسل كل جماعات اليهود فى العالم إسهاماتها إلى الجمعية من أجل الحصر الشامل لإحصاءات اليهود.

وهناك مهام أخرى مثل بحوث الخبراء فى الوطن الجديد، وثرواته الطبيعية، والتخطيط الموحد للهجرة والاستيطان، والأعمال المبدئية فى التشريع والإدارة..إلخ. كل هذا ينبغى أن ينبثق من المشروع الأصلى.

أما خارجياً، فستحاول الجمعية ـ كما أوضحت من قبل فى الجزء العام من هذا الكتيب ـ الحصول على الاعتراف باعتبارها سلطة لإنشاء دولة. إن الموافقة المطلقة للكثرة اليهودية ستمنح الجمعية الصلاحيات اللازمة فيما يتصل بعلاقتها مع الحكومات.

أما داخلياً، أعنى علاقتها بالشعب اليهودى، فستخلق الجمعية كل المؤسسات الأولية التى لا يمكن الاستغناء عنها، وستكون هذه المؤسسات هى النواة التى ستتطور منها المؤسسات العامة للدولة اليهودية فيما بعد.

لقد ذكرت من قبل أن أول أهدافنا هو السيادة ـ التى يضمنها لنا القانون الدولى ـ على قطعة من الأرض ذات مساحة كبيرة كافية لتحقيق متطلباتنا العادلة.

فما هى الخطوة التالية؟

احتلال الأرض

عندما هامت أمم على وجهها فى الزمن القديم كانوا يدَعون الصدفة تحملهم، وتجرجرهم، وتقذف بهم هنا وهناك. وكأسراب الجراد يحطون فى أى بقعة من الأرض كيفما اتفق. ذلك لأنه فى الزمن القديم كانت الأرض مجهولة بالنسبة للإنسان. أما هذه الهجرة الحديثة لليهود فلابد أن تجرى وفق مبادئ علمية.

منذ ما لا يزيد عن أربعين عاماً مضت كان البحث عن الذهب يجرى بطريقة بالغة البدائية. فكم كانت أيام كاليفورنيا مليئة بالمغامرات! خبر جلب المغامرين تباعاً من أنحاء الأرض، فسطوا على قطع من الأرض، وسرقوا الذهب بعضهم من بعض، وفى النهاية ضيعوه على موائد القمار كما يفعل اللصوص فى العادة.

واليوم، كيف يجرى البحث عن الذهب فى ترانسفال؟

المغامرون والأفاقون ليسوا هناك، إنما الجيولوجيون والمهندسون الموقرون وحدهم فى الموقع لتنظيم صناعة الذهب. إنهم يستخدمون آلات متطورة فى فصل الذهب الخام من الصخور المحيطة به، القليل جداً متروك للصدفة الآن.

وهكذا علينا أن نبحث وأن نمتلك الوطن اليهودى الجديد، مستخدمين كل ذريعة حديثة.

وحالما نضمن الأرض، فسنرسل سفينة إلى هناك على ظهرها ممثلو كل من الجمعية والشركة والمجموعات المحلية، الذين سيدخلون فى ملكيتها على الفور.

هؤلاء الناس أمامهم ثلاث مهام لإنجازها:

- البحث العلمى الدقيق لجميع الثروات الطبيعية للوطن.

- تنظيم إدارة مركزية صارمة.

- توزيع الأرض.

هذه المهام الثلاثة تتداخل بعضها مع بعض، وسوف يتم إنجازها جميعاً وفقاً للهدف المطروح الذى أصبح معروفاً لنا الآن.

هناك أمر واحد يحتاج إلى شرح، وأعنى به كيف يتم احتلال الأرض بالنسبة للمجموعات المحلية.

فى أمريكا كانت طريقة احتلال الأرض الجديدة المفتوحة طريقة بدائية، حيث يتجمع المستوطنون على الحدود، وفى وقت محدد يندفعون جميعاً فى وقت واحد بعنف لاحتلال الجزء الذى يقدرون عليه. إننا لن نتبع هذا الأسلوب فى الأرض الجديدة لليهود.

فأن قطع الأراضى بالأقاليم والمدن ستباع بمزاد علنى، وسيدفع ثمنها عملاً وليس نقوداً. وستكون الخطة العامة قد اكتملت فيما يتعلق بالطرق والكبارى ومحطات تزويد المياه، وغيرها مما هو ضرورى للتجارة. هذه كلها ستتوحد فى أقاليم، وفى داخل هذه الأقاليم ستباع مواقع المدن أيضاً بالمزاد العلنى.

وستتعهد المجموعات المحلية بالقيام بتجارة العقارات، وسوف تغطى تكاليفها عن طريق تقديرات مفروضة على المشترين. وستكون الجمعية قادرة على أن تحكم ما إذا كانت المجموعات المحلية لا تجازف بتضحيات أكثر من إمكاناتها.

وسوف تحصل التجمعات الكبيرة على قطع كبيرة تكفى لأنشطتها، وهكذا ستمنح المؤسسات مثل الجامعات والمدارس التكنولوجية والأكاديميات ومعاهد البحوث تضحيات كبرى.. هذه المعاهد الحكومية لا يجب أن تتركز فى العاصمة بل ستوزع فى أنحاء الدولة.

والذى سيضمن تحقيق الفائدة مما تم الحصول عليه هو المصلحة الشخصية للمشترين، وإذا كان ضرورياً يجرى التقييم المحلى لتلك الممتلكات.

ولما كنا لا نستطيع، وبالتأكيد لا نرغب فى طمس الاختلافات بين الأفراد، فستبقى الاختلافات بين المجموعات المحلية. وسوف يتشكل كل شئ بطريقة طبيعية. وسيتم حماية جميع الحقوق المكتسبة، وسيُفسح المجال لكل تطوير جديد.

وسوف يتم إعلام شعبنا إعلاماً مفصلاً بجميع الأمور.

ولن نأخذ الآخرين على غير وعى منهم أو نضللهم، بقدر ما نحرص على ألا نخدع أنفسنا. كل شئ يجب أن يستقر بطريقة نظامية فى وقت سابق.

أشير هنا فقط لهذا المشروع؛ فسيعكف أكثر مفكرينا ذكاء على التفكير فيه. وكل إنجاز اجتماعى أو تكنولوجى فى عصرنا هذا أو فى العصر القادم ـ أمام التنفيذ البطىء لمشروعى ـ ينبغى توظيفه لهذا الهدف.

وكل اختراع ذى قيمة سواء كان موجوداً الآن أو سيوجد فى المستقبل، ينبغى الاستفادة به.

وبهذه الطريقة يمكن احتلال الأرض وإقامة الدولة، بأسلوب لم يعرفه التاريخ حتى الآن، وبإمكانات نجاح لم يحدث مثلها من قبل.

الدستور

إن أحد المهام الكبرى التى يتعين على الجمعية إنجازها هو تعيين مجلس من رجال القانون فى الدولة، هؤلاء عليهم أن يصوغوا أفضل دستور حديث ممكن. وأرى أن الدستور الجيد يجب أن يكون على درجة معقولة من المرونة. لقد أوضحت مفصّلاً فى مكان آخر أى أشكال الحكومات أرى أنها الأفضل، حيث أرى أن الملكية الديموقراطية والجمهورية الأرستقراطية هما أروع أشكال الدولة، ففيهما شكل الدولة ومبدأ الحكومة متعارضان، ومن هنا يأتى التوازن الصحيح للقوة. إننى مؤيد وقى للمؤسسات الملكية، لأنها تسمح باستمرارية السياسة، وتمثل مصالح الأسر الشهيرة فى التاريخ، أولئك الذين ولدوا وتعلموا لكى يمارسوا الحكم، ورغباتهم محكومة بالحفاظ على الدولة.

ولكن تاريخنا تقطعت فيه السبل أحقاباً طويلة، بحيث لا نستطيع استئناف الأشكال الدستورية القديمة، دون أن نعرض أنفسنا للاتهام بالغموض.

إن ديموقراطية بدون سلطة متوازنة ونافعة، مفتوحة لأقصى النقيضين من تقدير وإدانة، من شأنها إضاعة الوقت فى مناقشات برلمانية، وإنتاج ذلك النوع الكريه من الناس؛ السياسيين المحترفين. كذلك فإن الأمم ليست فى حقيقة الأمر مهيأة لديموقراطية غير محدودة فى الوقت الراهن، وستصبح أقل تهيئاً لها أكثر وأكثر فى المستقبل، لأن الديموقراطية الخالصة تفترض مسبقاً شيوع تقاليد بسيطة، وتقاليدنا مع الأيام أصبحت أكثر تعقيداً بنمو التجارة وتزايد الثقافة.

قال "منتسكيو" الحكيم: "إن النزعة للديموقراطية هى الفضيلة".

فأين هذه الفضيلة، أعنى الفضيلة السياسية.. أين نصادفها؟ إننى لا أثق فى فضيلتنا السياسية؛ أولاً لأننا لسنا أفضل من بقية البشر المعاصرين، وثانياً لأن الحرية ستجعلنا نبرز مواهبنا فى العراك قبل أى شئ آخر. كذلك فإننى أرى أن إقرار قضيةٍ ما عن طريق الاستفتاء العام إجراء غير مقنع، إذ لا يوجد هنالك أسئلة سياسية بسيطة يمكن الإجابة عليها بمجرد: نعم أم لا. كما أن الجماهير أيضاً أكثر نزوعاً ـ ربما أكثر من البرلمانات ـ إلى أن تنجرف بعيداً مع الأفكار المارقة، كما يُفقدها التفويض القوى توازنها.

ومن المستحيل أن تصوغ سياسة داخلية أو خارجية. حكيمة فى جمعية عامة. إن السياسة يجب أن تتشكل فى إطار الطبقة العليا ثم تعمل نزولا إلى الطبقات الأدنى. ولكن لن

يمس الجور أبناء الدولة اليهودية، فكل إنسان سيكون مقتدراً، وسيكون راغباً فى الارتقاء فيها.

وهكذا سيسرى فى شعبنا نزوع إلى الارتقاء، وكلما حاول فرد الارتقاء بنفسه سيرفع معه مجموع المواطنين، وسيأخذ الصعود شكلاً أخلاقياً يفيد الدولة ويخدم الفكرة القومية. ومن ثم فإننى أميل إلى جمهورية أرستقراطية، ولعل هذا يرضى الروح الطموح لشعبنا التى انحطت الآن إلى تفاهة مؤسفة.

وتمر الآن فى خاطرى كثير من مؤسسات فينيسيا، ولكن كل ما قد تسبب منها فى انهيار فينيسيا يجب تجنبه بعناية، فستعلم من الأخطاء التاريخية للآخرين، كما نستفيد بنفس الأسلوب من أخطائنا. فنحن أمة جديدة، ونود أن نكون أحدث أمم العالم. إن شعبنا الذى سيتسلم الأرض الجديدة من الجمعية، سيتقبل أيضاً بشكر الدستور الجديد الذى سنمنحه لهم. فإذا برزت معارضة ما فستخمدها الجمعية. فالجمعية لا يمكن أن تسمح ـ فى ممارسة وظائفها ـ أن يقوم بتفسيرها أفراد قصار النظر أو متحاملون.

اللغة

قد يرى البعض أن حاجتنا إلى لغة جارية مشتركة يمثل صعوبة. إننا لا نستطيع التخاطب بعضنا مع بعض باللغة العبرية، فمن منا لديه معرفة كافية ليطلب تذكرة قطار باللغة العبرية. مثل هذا الأمر لا يمكن حدوثه. ومع ذلك فالمشكلة يمكن التغلب عليها بسهولة. فكل شخص يمكنه أن يحتفظ باللغة التى تحمل أفكاره بيسر. وتقدم إلينا سويسرا برهاناً قاطعاً على إمكانية تعدد اللغات فى اتحاد فيدرالى. سوف نبقى فى الوطن الجديد كما نحن الآن، ولن نتوقف عن الاعتزاز فى أسى بذكرياتنا فى البلاد التى أُخرجنا منها. سوف نتخلص من تلك الرطانات البائسة المتحجرة، لغات "الجيتو" التى لا نزال نستعملها، فقد كانت هى اللغة الخفية للسجناء. إن معلمينا القوميين سوف يهتمون بهذه المسألة، واللغة التى تثبت أنها أكثر نفعاً فى العلاقات الاجتماعية العامة، سوف نتبناها بدون إكراه كلغة قومية. إن جنسنا غريب فريد، فليس يجمع بيننا إلا عقيدة آبائنا[3].

حكومة ثيوقراطية

هل سننتهى إلى حكومة ثيوقراطية[4]؟

لا بالتأكيد. إن العقيدة تجمعنا والمعرفة تمنحنا الحرية. ولذلك سنمنع أى اتجاهات ثيوقراطية تتصدر قيادتنا من جانب الكهنوت. سوف نحصر كهنتنا داخل حدود المعابد، كما سنحصر بالمثل جيشنا داخل حدود معسكراته. لسوف يتلقى جيشنا وكهنتنا منا كل احترام رفيع بقدر ما تستحقه وظيفتهما القيمة، ولكنهما لا يجب أن يتدخلا فى إدارة شئون الدولة التى تخلع عليها مكانة سامية، وإلا فسيجلبان علينا صعوبات فى الداخل والخارج.

---

3 مثال على العبارات الانفعالية التى تعن لـ"هرتسل"، نجدها فى مواقع كثيرة من النص مما يربك السياق أحياناً. ولكنها إذا وضعت فى ميزان المنطق، فإنها ستبدو متناقضة مع أقوال سابقة لـ"هرتسل" فى نفس النص تذهب إلى أن المعاناة المشتركة بسبب العداء للسامية هى التى تجمع اليهود وتوحدهم.

4 المقصود حكومة يحكم فيها رجال الدين.

كل إنسان سيكون حراً دون منازعة بسبب العقيدة أو لقلة إيمانه أو لجنسيته. وإذا حدث وجاء أناس من عقائد مختلفة أو جنسيات أخرى ليعيشوا معنا، فسوف نمنحهم حماية مشرفة ومساواة أمام القانون، لقد تعلمنا التسامح فى أوربا. إننى لا أقول هذا على سبيل التهكم، لأن العداء للسامية اليوم يمكن أن ينسب إلى عدم التسامح الدينى فى عدد قليل فقط من الأماكن، لكنه فى معظمه حركة بين الأمم المتحضرة يحاول أبناؤها مطاردة أشباح ماضيهم.

القوانين

عندما تقترب فكرة "الدولة" من التحقق، فإن جمعية اليهود ستقوم بتعيين مجلس من رجال القانون للقيام بالأعمال التمهيدية للتشريع، وسوف يتصرف هؤلاء ـ خلال الفترة الانتقالية ـ على أساس أن يحاكم كل يهودى مهاجر طبقاً لقوانين الدولة التى جاء منها. ولكن عليهم أن يحاولوا إيجاد وحدة من هذه القوانين المختلفة لتأليف نظام تشريعى حديث، يقوم على أفضل قدر من الأنظمة السابقة، ولعله يصبح نموذجا للتقنين الذى يحتضن جميع المطالب الاجتماعية العادلة فى الوقت الراهن.

الجيش

إن الدولة اليهودية منظور إليها باعتبارها دولة محايدة، ومن أجل ذلك يلزمها فقط جيش محترف، مسلح ـ بطبيعة الحال ـ بكل متطلبات الحرب الحديثة، للحفاظ على النظام فى الداخل والخارج.

العَلم

ليس لدينا عَلم ونحن فى حاجة إلى ذلك. فإن كنا نريد أن نقود عدداً من الرجال، فلابد أن نرفع رمزاً فوق رؤوسهم، وأنا أقترح علماً أبيض به سبع نجوم ذهبية. الخلفية البيضاء ترمز إلى حياتنا الجديدة النقية، أما النجوم السبع فهى السبع ساعات الذهبية للعمل اليومى. لأننا سوف نسير إلى الأرض الموعودة حاملين شارة الشرف.

معاهدات تبادل الامتيازات وتسليم المجرمين

إن الدولة اليهودية يجب أن تؤسس تأسيسا سليما، بالنظر إلى مركزنا المستقبلى المشرف فى العالم. ومن ثم فكل التزام فى البلد القديم، لابد من تحقيقه بدقة منفصلة قبل الرحيل. وسوف تتيح الجمعية اليهودية والشركة اليهودية سفراً رخيصاً وميزات أخرى، عند التسويات النهائية لأولئك الذين يستطيعون أن يقدموا شهادة رسمية من السلطات المحلية تشهد بأنهم تركوا أعمالهم فى حالة جيدة. وكل طلب شخصى عادل ناشئ من الدولة المتروكة، ستكون الدولة اليهودية مستعدة للنظر فيه بترحاب أكبر منه فى أى دولة أخرى. ولن ننتظر من أجل تبادل الامتيازات. وسوف نعمل من أجل شرفنا الشخصى بكل ما تحمله الكلمة من معان. وهكذا، لعلنا نجد فيما بعد أن المحاكم ستكون مستعدة لسماع مطالبنا أكثر مما يبدو أنها تفعله الآن فى بعض الأماكن.

سوف يُستخلص، كأمر مسلم به، من كلامى السابق أننا سنكون أكثر استعداداً من أى دولة أخرى لتسليم المجرمين اليهود، حتى يأتى الوقت الذى نستطيع فيه أن نطبق قانون

عقوبات خاص بنا، قائماً على نفس المبادئ التى تتبعها جميع الأمم المتحضرة الأخرى. ولذلك سيكون هناك فترة انتقالية سوف نتسلم أثناءها مجرمينا، بعد أن يكونوا قد تلقوا العقوبات المناسبة. ولما كانوا قد دفعوا ثمن جرائمهم، فسوف نستقبلهم بدون قيود على الإطلاق، لأن مجرمينا أيضاً يجب أن يدخلوا الحياة الجديدة.

وهكذا قد تصبح الهجرة لكثير من اليهود كارثة ذات نهاية سعيدة. ستتغير الظروف الخارجية السيئة التى حطمت كثيراً من الأشخاص، وقد يعنى هذا التغيير الخلاص لكثير من الضالين.

أود فيما يلى أن أحكى باختصار قصة صادفتنى فى سياق أخبار مناجم ذهب "ويتووتر راند Witwatersrand"، فقد جاء فى أحد الأيام رجل إلى "راند Rand" واستقر هناك وجرب نفسه فى أعمال كثيرة، فيما عدا البحث عن الذهب، حتى أنشأ مصنعاً للثلج تحقق له النجاح، وسرعان ما اكتسب احتراماً عاماً لمسلكه المهذب. ولكن بعد عدة سنوات قبض عليه فجأة. كان قد قام بالتلاعب فى الأموال وهو موظف فى بنك فرانكفورت، وهرب ليستأنف حياة جديدة تحت اسم منتحل. وعندما اقتيد للسجن ظهر وجهاء البلدة ليودعوه بقلوبهم ويلوحوا له: مع السلامة، لأنه لابد أن يعود إليهم، ما الذى لم تكشف عنه هذه القصة!

إن الحياة الجديدة يمكن أن تمنح الشخص روحا جديدة، حتى المجرمين. وعندنا من هؤلاء عدد قليل نسبيا.

هناك بعض إحصاءات مشوقة فى هذه النقطة تستحق القراءة بعنوان "جرائم اليهود فى ألمانيا" من تأليف دكتور ب. ناثان من برلين الذى كُلِف من قِبل "جمعية الدفاع ضد العداء للسامية" لجمع إحصاءات مؤسسة على التقارير الرسمية. ومن الحق أن يقال أن هذا الكتيب ـ الذى يغص بالأرقام ـ كان وراء إصداره دوافع عديدة أخرى منها ذلك الخطأ الذى يزعم أن العداء للسامية يمكن تفنيده عن طريق المحاجّة المعقولة. لكننا قد نكون مكروهين لمواهبنا بقدر ما نحن مكروهين لأخطائنا.

منافع هجرة اليهود

أتصور أن الحكومات ـ سواء تطوعياً أو تحت ضغوط من أعداء السامية ـ سوف تعطى هذا المشروع اهتماماً خاصاً، ولعلها تستقبله هنا وهناك بتعاطف سيبدونه أيضاً لجمعية اليهود.

إن الهجرة التى أقترحها لن تخلق أزمة اقتصادية. ومثل تلك الأزمة التى تعقب إيذاء اليهود فى كل مكان، يمكن تجنبها من خلال تنفيذ خطتى. ولعل فترة عظيمة من الازدهار قد تبدأ فى البلاد، التى هى الآن ضد السامية. حيث سيكون هناك ـ كما ذكرت مكرراً ـ هجرة داخلية من المواطنين المسيحيين إلى المراكز التى أخلاها اليهود، تتم على مهل وبأسلوب منظم. فإذا لم يكن نصيبنا هو المعاناة فقط ـ بل قُدمت إلينا مساعدات فعلية تعيننا على التنفيذ ـ فسيكون للحركة أثر نفعى عام.

إنها وجهة نظر ضيقة لابد أن يتخلص منها الإنسان تلك التى ترى فى رحيل الكثرة اليهودية نتيجة طبيعية لإفقار البلاد. فالأمر يختلف بين الرحيل الذى هو نتيجة الاضطهاد، حيث تُخرب الممتلكات هنا كما تخرب أثناء اضطرابات الحروب، وبين الرحيل السلمى التطوعى للمستعمرين الذى تُراعى فيه الحقوق المكتسبة، مع الالتزام التام بالقانون، رحيل مفتوح فى وضح النهار، وتحت أعين السلطات ورقابة الرأى العام.

إن الحركة اليهودية يمكن أن توقف بشكل تام هجرة العمال المسيحيين إلى مختلف بقاع العالم، وستحصل الدول على امتيازات أخرى تتعلق بالزيادة الهائلة فى توريد السلع، لأن اليهود المهاجرين إلى "هناك" سوف يعتمدون لحقبة من الزمن على الإنتاج الأوربى، فسيكون من الضرورى لهم استيراده خلال هذه الفترة. وسوف تحافظ المجموعات المحلية على التوازن العادل فى الاستيراد، فتستورد ـ لوقت طويل ـ الاحتياجات المطلوبة من الجهات المعتادة.

وهناك ميزة أخرى ربما من أعظم الميزات، وهى الارتياح الاجتماعى الذى سيتولد، فقد يهدأ القلق الاجتماعى خلال العشرين سنة أو أكثر التى تستغرقها هجرة اليهود، وعلى أى حال سوف تستقر الأوضاع الاجتماعية خلال الفترة الانتقالية كلها.

إن الشكل الذى يمكن أن تتخذه المشكلة الاجتماعية يتوقف كلية على تطور إمكاناتنا التكنولوجية. لقد تسببت قوة البخار فى تركيز الناس فى المصانع حول الماكينات، فتزاحموا هناك، وأصبح الزحام مصدر تعاستهم. إن معدل الإنتاج الخلى الهائل غير الحكيم وغير المنتظم هو السبب فى الأزمة المستحكمة المستمرة التى تطحن كلاً من أصحاب الأعمال والعمال على السواء. فإذا كان البخار قد حشد الناس معاً، فلعل الكهرباء تفرقهم مرة أخرى، ولعلها تحدث فى سوق العمل ازدهاراً.

مهما يكن الأمر فإن مخترعينا التكنولوجيين، وهم بحق الذين أحسنوا للإنسانية، سوف يستمرون فى عملهم بعد البدء فى الهجرة، وسوف يكتشفون أشياءً رائعة كالتى شاهدناها، وربما أروع مما شاهدناه. لقد توقفت كلمة المستحيل عن الوجود من قاموس العلوم التكنولوجية.

ولو أن رجلاً كان يعيش فى القرن الماضى عاد إلى الأرض اليوم، فسوف يجد الحياة الحاضرة حافلة بسحر يستعصى عليه فهمه. فحيثما يظهر الرجل الحديث مع اختراعاتنا، فإننا نحول الصحراء إلى حديقة.

لكى نبنى مدينة فى عصرنا هذا قد نحتاج عدداً من السنين بالقدر الذى كنا نحتاج فى الماضى إلى عدد من القرون. وتقدم لنا أمريكا أمثلة على ذلك لا حصر لها.

لم تعد المسافات تشكل عائقاً. ولقد جمعت روح عصرنا كنوزاً عظيمة فى مستودعاتها، وفى كل يوم تزداد هذه الثروة، هناك مائة ألف رأس مشغولة بالتفكير والبحث فى كل بقعة من الأرض، وأيا ما اكتشفه أحدهم، يصبح فى اللحظة التالية ملكاً لكل العالم.

ونحن أنفسنا سوف نستخدم ونستفيد من كل محاولة جديدة، وننفذها فى أرضنا اليهودية. كما سندخل نظام السبع ساعات عمل فى اليوم كتجربة لصالح البشرية، وسنواصل

عملنا فى كل شئ بنفس الروح الإنسانية، جاعلين من الأرض الجديدة أرض تجارب ودولة نموذجية.

وبعد رحيل اليهود ستبقى إنجازاتهم التى أبدعوها حيث كانت فى الأصل، ولن تتخلف روح المشروعات اليهودية حيثما رحبت بها الشعوب. فالرأسماليون اليهود سيكونون سعداء باستثمار أموالهم، حيث يألفون الظروف المحيطة، وكما يخرج المال اليهودى بسبب الاضطهادات القائمة، وتستغرقه المشروعات الأجنبية فى أقصى الأرض، سيعود ليتدفق مرة أخرى على أثر الحل السلمى، وسوف يُسهم فى تقدم جديد بهذه البلاد التى فارقها اليهود.

الفصل السادس
ـ خاتمة

كم من الأشياء تُركت بدون توضيح، وكم من الخلل والأمور السطحية المعيبة، وكم من الأشياء المكررة عديمة الفائدة فى هذا الكتيب، مما أمعنت فيه الفكر طويلاً، وقمت بتصحيحه فى كثير من الأحوال!

لكن القارئ المنصف الذى يتمتع بقدر من الفهم كافٍ لاستيعاب روح كلماتى لن تنفّره هذه العيوب، وإنما سينهض – على الأرجح – لِيُسهم بذكائه وطاقته فى عمل ليس هو مهمة رجل واحد مفرد، وسوف يحسنه.

هل شرحت أشياء واضحة، وأغفلت اعتراضات هامة!

لقد حاولت مواجهة اعتراضات معينة، ولكنى أعلم أن كثيراً جداً من الاعتراضات سيثار، بعضها على أساس قوى وبعضها بلا أساس. وإلى الفئة الأولى ينتمى الكلام القائل بأن اليهود ليسوا وحدهم فى العالم الذين هم فى حالة مقلقة. وعلى هذا الزعم أرد قائلاً: دعونا نبدأ بإزالة قليل من هذا البؤس، حتى ولو كان فى بادئ الأمر هو بؤسنا نحن. وقد يقال أيضاً بأنه لا يجب علينا أن نثير تفرقة جديدة بين الناس، بل ليكن همنا أن نعمل على القضاء على التفرقة القديمة. إن الذين يفكرون بهذه الطريقة أناس حالمون ودودون، ولكن فكرة "وطن الأجداد" ستظل مزدهرة بعد أن يتلاشى – بلا أثر – غبار عظامهم فى الهواء. إن الأخوة العامة ليست حتى حُلماً جميلاً، فالتنافر ضرورى لأعظم الجهود الإنسانية.

ولكن، عندما يستقر اليهود فى دولتهم الخاصة، قد لا يصبح لهم أعداء، ومن ثم يضعفهم الرخاء ويسبب انكماشهم، وسرعان ما قد يختفون كليةً. إننى أعتقد أن اليهود سيكون لهم دائماً قدر كاف من الأعداء كأى أمة أخرى، ولكن حينما يصمدون فى أرضهم الخاصة فلن يمكنهم بعد ذلك أن يتفرقوا فى العالم.

إن تشتت الأمة لن يحدث مرة أخرى، إلا إذا انهارت حضارة العالم بأسره. ومثل هذا الانهيار لا يخشاه إلا أناس أغبياء. إن حضارتنا الحالية تملك أسلحة قوية تكفى للدفاع عن نفسها.

هناك اعتراضات قائمة على أسس واهية، لأن هناك أناس بسطاء أكثر من النبلاء فى هذا العالم، ولقد حاولت أن أزيل بعض تلك الأفكار الغامضة ضيقة الأفق. ولكن كل من لديه الرغبة فى أن يسير خلف علمنا الأبيض ذى النجوم السبعة، يجب أن ينهض لمساعدتنا فى هذه الحملة التنويرية. فربما سيكون علينا أن نحارب أولاً ضد كثير من أبناء جنسنا، من أصحاب الأفق الضيق والقلوب العليلة والتوجهات الفاسدة.

قد يقول أناس أننى أزوّد المعادين للسامية بأسلحة ضدنا؟ ولم هذا؟ ألأننى أعترف بالحقيقة؟ ألأننى لست حريصاً على الإدعاء، بأنه ليس بيننا سوى أناس ممتازين؟ ألن يزعم الناس أننى أكشف لأعدائنا عن الطريقة التى يسيئون بها إلينا؟ إننى أعترض على هذا كله اعتراضاً تاماً، فمقترحاتى لا يمكن تنفيذها إلا بالقبول الحر من جانب الأغلبية العظمى من

اليهود. وقد يمكن اتخاذ إجراءات تعسفية ضد أفراد، أو حتى مجموعات من أكثر اليهود قوة، ولكن الحكومات لا يمكن أن تتخذ إجراءات ضد جميع اليهود. إن حقوق اليهود فى المساواة أمام القانون لا يمكن التراجع عنها، حيثما تم الاعتراف بها، لأنه حالما تبدأ محاولة التراجع عنها، سيندفع جميع اليهود مباشرة – الأغنياء منهم والفقراء على السواء – إلى صفوف الأحزاب الثورية.

إن البدء فى أعمال اضطهاد رسمية ضد اليهود، سوف يخلق دائماً أزمة اقتصادية، ومن ثم لا يمكن استخدام أى سلاح ضدنا بشكلٍ فعال، لأن هذا سوف يؤذى اليد التى تقبض عليه.

فى غضون ذلك، تنمو الكراهية حثيثاً، قد لا يشعر بها أغنياؤنا كثيراً، ولكن فقراءنا يفعلون. فلنسأل فقراءنا كم منهم دُفع به بقسوة إلى أسفل طبقات العمالة – منذ الإطاحة الأخيرة بالعداء للسامية – أكثر مما حدث قبلها.

قد يرى بعض رجالنا الأثرياء أن الضغوط علينا ليست بهذا القدر نم القسوة لتبرير الهجرة، وأن كل إخراج بالقوة يكشف لنا كيف أن شعبنا لا يريد الرحيل.

صحيح، لأنهم لا يعرفون أين يذهبون، لأنهم يخرجون من مصيبة ليقعوا فى مصيبة أخرى. ولكننا سنريهم الطريق إلى أرض الميعاد. وعلى القوة الرائعة للحماس أن تحارب القوة المسيطرة للعادة. صحيح أن الاضطهادات لم تعد من الخبث بمكان كما كانت فى العصور الوسطى، وإنما حساسيتنا هى التى تزايدت حتى أصبحنا لا نشعر بتضاؤل المعاناة. لقد أنهكت أعصابَنا الاضطهاداتُ الكثيرة على مر العصور.

وقد يقول أناس من جديد إن مشروعنا لا أمل فيه، لأنه حتى لو حصلنا على الأرض مع السيادة عليها، فإن الفقراء وحدهم هم الذين سيذهبون معنا؟ وهذا ما نريده بالضبط فى البداية، الأكثر فقراً فاليائسون هم الذين يتحولون إلى غزاة مجيدين.

وقد يقول أحدهم لو كان هذا ممكناً لكان قد حدث من زمن طويل؟ إنه لم يكن ممكناً من قبل ولكنه الآن ممكن. فمنذ مائة بل خمسين سنة فقط لم يكن هذا شيئاً أكثر من حلم، اليوم يمكن أن يصبح واقعاً. إن أغنياءنا الذين لديهم الألفة الممتعة بكل إنجازاتنا التكنولوجية، يعلمون على وجه اليقين كيف يمكن للمال الوفير أن يصنع. وهكذا سيكون الفقراء والبسطاء فقط – الذين لا يعرفون أى قدرة يمارسها الإنسان الآن فى تطويع قوى الطبيعة – هم الذين لديهم الإيمان القوى بالرسالة الجديدة، لأن هؤلاء لم يفقدوا أبداً أملهم فى أرض الميعاد.

فيا إخواننا اليهود هذه هى "أرض الميعاد"! لا أسطورة هى ولا خدعة. وكل إنسان يستطيع أن يختبر حقيقتها بنفسه، لأن كل إنسان سيحمل معه قطعة من أرض الميعاد: بعضها فى رأسه، وبعضها بين ذراعيه، وبعضها فى ملكيته المكتسبة.

والآن قد تبدو الأمور طويلة لا نهاية لها، فحتى مع أفضل الظروف قد تمضى سنوات كثيرة قبل أن نبدأ فى إقامة الدولة، وفى غضون ذلك سيعانى اليهود فى ألف مكان ومكان من الإهانات، والإذلال، وسوء المعاملة، والضرب، والنهب، والموت.

لكن لا، إننا إذا بدأنا فقط فى تنفيذ الخطط، فإن العداء للسامية سيتوقف على الفور وإلى الأبد. إنه تمام السلام.

إن أخبار تشكيل شركتنا اليهودية سوف تُحمل فى يوم واحد إلى أقصى مكان فى الأرض، بسرعة الضوء خلال أسلاك التلغراف. وسيعقب هذا على الفور شعور بالارتياح. إن متعلمينا من الطبقة الوسطى سوف يجدون لهم متنفساً فى منظماتنا الأولى، باعتبارهم أوائل المهندسين والضباط والأساتذة والموظفين والمحامين والأطباء. وهكذا ستستمر الحركة فى تقدم سريع ولكن ممهد. وسيرتفع الدعاء من أجل نجاح عملنا بين جدران المعابد وكذا الكنائس. حيث تأتى الراحة من العبء القديم الذى عانى منه الجميع.

ولكن علينا أولاً أن نحرر عقول الرجال. فلابد أن تشق الفكرة طريقها إلى أبعد وأتعس الجحور التى يعيش فيها شعبنا. إنهم سيستيقظون من ظلام الفكر عندما يتدفق فى حياتهم معنى جديد. كل إنسان يحتاج إلى أن يفكر فى نفسه فقط، وستتولى الحركة أكبر نصيب.

أى مجد ينتظر أولئك الذين يكافحون فى سبيل هدف غير أنانى! من أجل ذلك فإننى أعتقد أن جيلاً رائعاً من اليهود سوف ينبثق إلى الوجود، سينهض "المكابيون" مرة أخرى. ولأكرر مرة أخرى كلماتى الافتتاحية: إن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم. وسوف نحيا أخيراً رجالاً أحراراً على أرضنا، وسنموت بسلام فى بيوتنا.

وسوف يتحرر العالم بتحررنا، ويغتنى بثروتنا، ويعظم بعظمتنا.

وأياً ما حاولنا إحرازه "هناك" من أجل صالحنا، فسوف يرتد بقوة وفائدة لخير الإنسانية.